أروع ما قاله جدي وجدتي

الجزء الثاني

تأليف
الأستاذ الدكتور / علي راشد
الحائز على جائزة الدولة التشجيعية
في أدب الأطفال

رسوم
ناصر حامد

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/558
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 7 00961
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
07 230195 - 230841 7 00961
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
1436 هـ - 2015

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com



الْمُحْتَوَيَاتُ





الصِّـدْقُ

حَكَتْ «مَرْيَمُ» عَنْ مَوْقِفٍ حَدَثَ فِي مَدْرَسَتِهَا فَقَالَتْ:

- أَعْلَنَتْ مُدِيرَةُ الْمَدْرَسَـةِ فِي طَابُـورِ الصَّبَاحِ أَنَّ إِحْدَى اللَّوْحَـاتِ الزُّجَاجِيَّةِ الْمُعَلَّقَةِ عَلَى أَحَدِ جُدْرَانِ الْمَدْرَسَـةِ قَدْ سَـقَطَتْ بِفِعْلِ فَاعِـلٍ، مِمَّا أَدَّى إِلَى كَسْرِ زُجَاجِهَا وَتَحَطُّمِ إِطَارِهَا، وَتَسَاءَلَتِ الْمُدِيرَةُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ وَهُنَا تَقَدَّمَتِ التِّلْمِيذَةُ «سَنَاءُ» فِي ثَبَاتٍ وَثِقَةٍ وَاعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا هِيَ الْفَاعِلَةُ، وَلَكِنْ بِدُونِ قَصْدٍ مِنْهَا، فَسُرَّتْ مُدِيرَةُ الْمَدْرَسَةِ لِصِدْقِ التِّلْمِيذَةِ «سَنَاءَ» وَعَفَتْ عَنْهَا، وَجَعَلَتْ كُلَّ تِلْمِيذَاتِ الْمَدْرَسَةِ يُصَفِّقْنَ لَهَا.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- إِنَّهُ الصِّدْقُ يَا بُنَيَّتِي، وَكَمَا قِيلَ: «الصِّدْقُ مُنْجٍ وَالْكَذِبُ مُهْلِكٌ».

تَسَاءَلَ عُمَرُ:

- وَمَا مَعْنَى الصِّدْقِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- الصِّدْقُ يَا بُنَيَّ هُوَ قَـوْلُ الْحَقِّ وَمُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْوَاقِعِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوْبَة: 119]. وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْـدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّسَـاء: 122]، وَقَالَ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأَحْزَاب: 22].

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ عَنِ الصِّدْقِ، فَقَالَتْ:

- يُحْكَـى أَنَّ رَجُـلًا كَانَ يَعْصِي اللَّهَ -سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَكَانَ فِيـهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْعُيُوبِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُصْلِحَهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَذَهَبَ إِلَى أَحَدِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبَ مِنْهُ وَصِيَّةً يُعَالِجُ بِهَـا عُيُوبَهُ، فَأَمَرَهُ الْعَالِمُ أَنْ يُعَالِجَ عَيْبًا وَاحِدًا، وَهُوَ الْكَذِبُ، يُعَالِجُهُ بِالصِّـدْقِ، وَأَوْصَاهُ بِالصِّدْقِ فِي كُلِّ حَـالٍ، وَأَخَذَ عَلَى الرَّجُلِ


مدرسة العلم والايمان

عَهْدًا عَلَى ذَلِكَ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَشْـرَبَ خَمْرًا، فَاشْتَرَاهَا وَمَلَأَ كَأْسًا مِنْهَا، وَعِنْدَمَا رَفَعَهَا إِلَى فَمِهِ، تَذَكَّرَ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَى نَفْسِـهِ وَقَالَ: مَاذَا أَقُولُ لِلْعَالِمِ إِذَا سَـأَلَنِي: هَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا؟ وَحَيْثُ إِنَّنِي لَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، فَلَنْ أَشْـرَبَ الْخَمْرَ أَبَدًا. وَفِي الْيَوْمِ التَّـالِي أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَفْعَـلَ ذَنْبًا آخَرَ، فَتَذَكَّرَ عَهْدَهُ مَعَ الْعَالِمِ بِالصِّدْقِ، فَلَمْ يَفْعَـلْ ذَلِكَ الذَّنْبَ، وَهَكَذَا كُلَّمَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَفْعَـلَ ذَنْبًا امْتَنَعَ عَنْ فِعْلِهِ؛ حَتَّى لَا يَكْذِبَ عَـلَى الْعَالِمِ، وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ تَخَلَّى الرَّجُلُ عَنْ كُلِّ عُيُوبِهِ بِفَضْلِ تَمَسُّكِهِ بِخُلُقِ الصِّدْقِ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَمَاذَا عَنْ أَنْوَاعِ الصِّدْقِ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- هُنَاكَ ثَلَاثَـةُ أَنْوَاعٍ لِلصِّدْقِ: أَوَّلُهَا: الصِّدْقُ مَعَ اللَّـهِ؛ وَذَلِكَ بِإِخْلَاصِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا لِلَّهِ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا رِيَاءٌ أَوْ نِفَاقٌ. وَثَانِيهَا: الصِّدْقُ مَعَ النَّاسِ؛ فَلَا يَكْذِبُ فِي حَدِيثِهِ مَعَهُمْ. وَثَالِثُهَا: الصِّدْقُ مَعَ النَّفْسِ؛ فَالْمُسْلِمُ الصَّادِقُ لَا يَخْدَعُ نَفْسَهُ، وَيَعْتَرِفُ بِعُيُوبِـهِ وَأَخْطَائِهِ وَيُصَحِّحُهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ وَالصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ».

قَالَ «عُمَرُ»:

- وَمَا جَزَاءُ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

- الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ يَا «عُمَرُ» يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الْمَائِدَة: 119].

وَيَقُـولُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وَوَعَدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِالْتِزَامِ الصِّدْقِ طَوَالَ حَيَاتِهِمَا.



الصَّبْـرُ

جَاءَتْ «مَرْيَمُ» مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَعَلَى وَجْهِهَا عَلَامَاتُ الْحُزْنِ، وَعِنْدَمَا اسْتَفْسَرَتْ جَدَّتُهَا عَنِ السَّبَبِ، أَخْبَرَتْهَا «مَرْيَمُ» بِأَنَّ صَدِيقَتَهَا «زِينَةَ» لَمْ تَحْضُرْ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْيَوْمَ بِسَبَبِ وَفَاةِ وَالِدَيْهَا، وَلِذَا فَهِيَ حَزِينَةٌ لِحُزْنِ صَدِيقَتِهَا.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- لَا تَحْزَنِي يَا بُنَيَّتِي، فَإِنَّ عَلَى صَدِيقَتِكِ «زِينَةَ» أَنْ تَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ، فَهُوَ أَفْضَلُ عِلَاجٍ لِصَدَمَاتِ الْحَيَاةِ.

تَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- الصَّبْرُ!! وَمَا مَعْنَى الصَّبْرِ يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةَ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- الصَّبْرُ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ يَعْنِي أَنْ يَلْتَزِمَ الْمُسْلِمُ بِمَا يَأْمُرُهُ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ مَا يُصِيبُهُ مِنْ مَصَائِبَ وَشَدَائِدَ. فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يَتَجَمَّلُ بِالصَّبْرِ، وَيَتَحَمَّلُ الْمَشَاقَّ، وَلَا يَجْزَعُ وَلَا يَحْزَنُ لِمَصَائِبِ الدَّهْرِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الْبَقَرَة: 153]، وَ يَقُولُ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿... فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 146].

وَوَاصَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ عَنِ الصَّبْرِ فَقَالَ:

- الصَّبْرُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُتَّقِينَ، قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». وَذَاتَ يَوْمٍ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرٍ، فَرَأَى امْرَأَةً جَالِسَةً إِلَى جِوَارِهِ وَهِيَ تَبْكِي وَالِدَهَا الَّذِي مَاتَ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي». فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ ـ وَهِيَ لَا تَعْرِفُ أَنَّهُ النَّبِيُّ ـ: «إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ



تُصَبْ بِمُصِيبَتِي». وَانْصَرَفَ ﷺ، فَقَالَ لَهَا النَّاسُ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَسْرَعَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَتَقُولُ لَهُ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى».

وَلَقَدْ ضُرِبَ بِنَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَرْوَعُ الْأَمْثِلَةِ فِي الصَّبْرِ، قَالَ عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44].

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَا هِيَ قِصَّةُ النَّبِيِّ أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الصَّبْرِ؟
- لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ أَيُّوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَجُلًا كَثِيرَ الْمَالِ وَالْأَهْلِ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِفَقْدِ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَأَصَابَتْهُ الْأَمْرَاضُ. فَظَلَّ مُلَازِمًا لِفِرَاشِ الْمَرَضِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَقَدْ وَقَفَتْ بِجَانِبِهِ زَوْجَتُهُ الْوَفِيَّةُ، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَضْرِبَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ فَفَعَلَ، فَأَخْرَجَ اللَّهُ لَهُ عَيْنَ مَاءٍ بَارِدَةً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ وَيَشْرَبَ مِنْهَا، فَفَعَلَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَلَمَ وَالْأَذَى وَالْمَرَضَ، وَأَبْدَلَهُ صِحَّةً وَجَمَالًا وَمَالًا كَثِيرًا وَعَوَّضَهُ بِأَوْلَادٍ صَالِحِينَ جَزَاءً لَهُ عَلَى صَبْرِهِ وَإِيمَانِهِ.

قَالَ «عُمَرُ»:

- مَا أَنْوَاعُ الصَّبْرِ يَا جَدِّي الْعَزِيزَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ: لِلصَّبْرِ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، أَهَمُّهَا:

★ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى جُهْدٍ وَعَزِيمَةٍ.

★ الصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَالْمُسْلِمُ يُقَاوِمُ الْمُغْرِيَاتِ الَّتِي تُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ.

★ الصَّبْرُ عَلَى الضَّرَرِ سَوَاءٌ فِي الْمَالِ أَوْ فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الْأَهْلِ.

وَوَاصَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: وَهُنَاكَ أُمُورٌ تُعِينُ عَلَى الصَّبْرِ أَهَمُّهَا مَا يَلِي:

★ التَّيَقُّنُ بِأَنَّ الْجَزَاءَ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحْل: 96].

★ الْيَقِينُ بِأَنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ، وَأَنَّ فَرَجَهُ آتٍ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرْح: 5، 6].

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِمَا اكْتَسَبَاهُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ عَنْ قِيمَةِ «الصَّبْرِ».


ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون

الطَّاعَـةُ

نَادَتِ الْجَدَّةُ حَفِيدَهَا «عُمَرَ»، وَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَبْتَسِمُ:

- قَابَلْتُ الْيَوْمَ يَـا «عُمَرُ» مُعَلِّمَتَكَ الْفَاضِلَةَ «بَسْـمَةَ»، وَقَدْ أَثْنَتْ عَلَيْكَ وَعَلَى اجْتِهَادِكَ فِي دُرُوسِكَ، وَفِي أَنْشِـطَةِ الْمَدْرَسَةِ، وَكَذَلِكَ حُسْنِ خُلُقِكَ، وَخَتَمَتْ حَدِيثَهَا عَنْكَ قَائِلَةً: إِنَّ أَهَمَّ مَا يُمَيِّزُ «عُمَرَ» بِجَانِبِ كُلِّ ذَلِكَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ مُطِيعٌ، فَهُوَ يَتَحَلَّى بِفَضِيلَةٍ مُهِمَّةٍ أَلَا وَهِيَ الطَّاعَةُ.

وَسَمِعَتْ «مَرْيَمُ» مَا قَالَتْهُ الْجَدَّةُ، فَسَأَلَتْهَا:

- وَمَا مَعْنَى الطَّاعَةِ يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةَ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- الطَّاعَةُ يَا «مَرْيَمُ» تَعْنِي الِانْقِيَادَ وَالِاسْتِسْلَامَ وَالْخُضُوعَ، وَهِيَ عَكْسُ الْمَعْصِيَةِ.

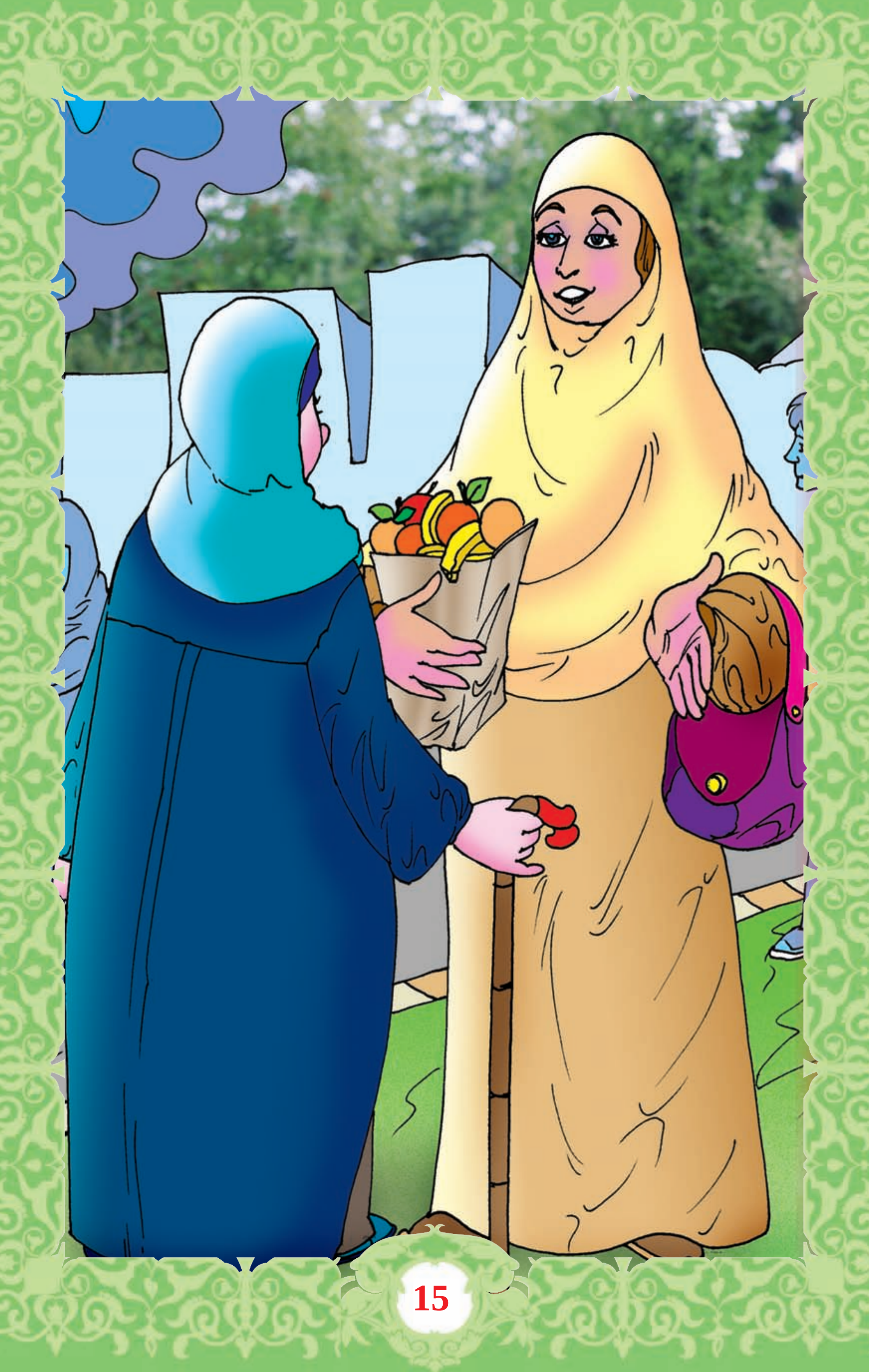
قَالَ «عُمَرُ»:

- وَلِمَنْ تَكُونُ هَذِهِ الطَّاعَةُ وَهَذَا الِانْقِيَادُ وَالِاسْتِسْلَامُ وَالْخُضُوعُ؟

رَدَّ الْجَدُّ:

- تَكُونُ الطَّاعَةُ يَا بُنَيَّ أَوَّلًا: لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلِرَسُـولِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: 132]. وَطَاعَةُ الرَّسُولِ طَاعَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عِمْرَان: 31]. وَقَـالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَـاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي».

وَتَكُـونُ الطَّاعَةُ ثَانِيًا لِأُولِي الْأَمْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [النِّسَـاء: 59]، وَيَقُولُ الرَّسُـولُ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْـتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ (أَيْ تَوَلَّى أَمْرَكُمْ) عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ».



وَثَالِثًا: طَاعَــةُ الْوَالِدَيْنِ، فَالْأَبُ وَالْأُمُّ لَهُمَا حُقُوقٌ عَــلَى الْأَبْنَاءِ أَوَّلُهَا الطَّاعَةُ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ مُقَيَّدَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْــرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لُقْمَان: 15].

وَرَابِعًا: طَاعَةُ الْمُعَلِّمِ، فَعِنْدَمَا أَرَادَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَــى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ «الْخَضِرِ» الْتَزَمَ بِالصَّبْرِ وَالطَّاعَةِ فَقَالَ: ﴿قَالَ سَــتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الْكَهْف: 69].

وَخَامِسًــا: طَاعَةُ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا. فَعِنْدَمَا جَاءَ وَفْدٌ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَطْلُبْنَ الْجِهَادَ وَالْإِذْنَ فِي دُخُولِ سَــاحَاتِ الْمَعَارِكِ لِنَيْلِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَعَــدَّهُ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ. قَــالَ لَهُنَّ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «طَاعَــةُ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا يَعْدِلُ ذَلِكَ، وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ يَفْعَلُهُ».

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- لَقَدْ قُمْنَا فِي الْحَفْلِ الْمَدْرَسِــيِّ الَّذِي أُقِيمَ بِمُنَاسَــبَةِ بَدْءِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ بِأَدَاءِ مَسْــرَحِيَّةٍ بِعُنْوَانِ «الرَّاعِي وَالنَّصِيحَةِ» وَهِيَ تَحْكِــي قِصَّةَ رَاعِي غَنَمٍ يَنْصَحُ خِرَافَــهُ بِأَنْ يَكُونُوا دَائِمًــا مَعًا، وَلَا يَتَفَرَّقُوا أَبَدًا، خَوْفًا عَلَيْهِــمْ مِنَ الذِّئْبِ. وَلَكِنَّ أَحَدَ الْخِرَافِ لَمْ يَأْخُذْ بِنَصِيحَةِ الرَّاعِي، فَذَهَبَ مُنْفَرِدًا إِلَى أَحَدِ الْمَرَاعِي، وَهُنَاكَ قَابَلَــهُ الذِّئْبُ وَأَفْهَمَهُ أَنَّهُ صَدِيقٌ يُحِبُّ لَهُ الْخَيْــرَ، وَأَنَّ هُنَاكَ بِجِوَارِ بَيْتِهِ مَرْعًى وَاسِعًا مَلِيئًا بِالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ الْجَمِيلِ، وَصَدَّقَهُ الْخَرُوفُ وَسَارَ مَعَهُ، وَفِي مَكَانٍ مَا ظَهَرَ الذِّئْبُ عَلَى حَقِيقَتِــهِ، وَبَانَ غَدْرُهُ، وَهَمَّ بِأَكْلِ هَذَا الْخَرُوفِ الْمِسْــكِينِ. وَتَنَبَّهَ الرَّاعِي لِغِيَابِ أَحَدِ خِرَافِهِ، فَذَهَبَ مُسْرِعًا يَبْحَثُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَوَصَلَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِــبِ وَأَنْقَذَ الْخَرُوفَ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ. وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ نَدِمَ الْخَرُوفُ كَثِيرًا عَلَى عَدَمِ طَاعَتِهِ لِنَصِيحَةِ الرَّاعِي وَوَعَدَ بِعَدَمِ تَكْرَارِ ذَلِكَ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- مَسْرَحِيَّةٌ جَمِيلَةٌ يَا «مَرْيَمُ» تُبَيِّنُ أَنَّ عَدَمَ الطَّاعَةِ قَدْ يُؤَدِّي أَحْيَانًا إِلَى الْهَلَاكِ.

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِمَا اكْتَسَبَاهُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ عَنْ قِيمَةِ «الطَّاعَةِ».



الْمُثابَـرَةُ

شَـــاهَدَتِ الْعَائِلَةُ بَرْنَامَجًـــا في التِّلِيفِزْيُونِ عَـــنِ الْعَالِمِ الْفَرَنْسِـــيِّ الْمَعْرُوفِ «لويس باســتير» (1822 ـ 1895) الَّذي يُعَدُّ مِنْ أَعْظَمِ الشَّـخْصِيَّاتِ في تَارِيخِ الطِّبِّ رَغْـمَ أَنَّهُ عَالِمٌ كِيمْيَائِيٌّ، وَالَّذي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَضْلُ في اكْتِشَـافِ الْجَرَاثِيمِ وَعَلَاقَتِهَا بِالْمَـرَضِ، وَكَذَلِكَ التَّطْعِيـمُ الْوِقَائِيُّ، وَقَدْ أَدَّى جَلَـدُهُ وَمُثَابَرَتُهُ عَلَى الْعَمَلِ، رَغْمَ مُعَانَاتِهِ مِنْ بَعْضِ الْبَشَـرِ الَّذِينَ أَلْصَقُـوا بِهِ التُّهَمَ وَالْإِهَانَاتِ، وَرَغْمَ الْكَوَارِثِ الَّتِي قَابَلَتْهُ في حَيَاتِهِ؛ فَقَدْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ تِبَاعًا، عِلَاوَةً عَلَى إِصَابَتِهِ بِمَرَضِ الشَّلَلِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَاعَةً مُتَوَاصِلَةً يَوْمِيًّا في جَوٍّ مَلِيءٍ بِالْخُصُومَةِ وَالْمَوْتِ وَالْمَرَضِ، وَلَكِنَّهُ ثَابَرَ وَحَقَّقَ مَا اسْتَهْدَفَهُ.

وَعِنْدَمَا سُـئِلَ: مِـنْ أَيْنَ جَاءَ بِكُلِّ هَـذَا الصَّبْرِ وَالْمُثَابَـرَةِ في الْعَمَلِ؟ أَجَابَ: «عِنْدَمَا يَتِمُّ الْكَشْـفُ عَنِ الْحَقَائِقِ بَعْدَ طُولِ عَنَاءٍ، فَإِنَّنَا كَعُلَمَاءَ نَحْظَى بِمُتْعَةٍ يَعِزُّ أَنْ تَشْعُرَ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ بِمِثْلِهَا».

تَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

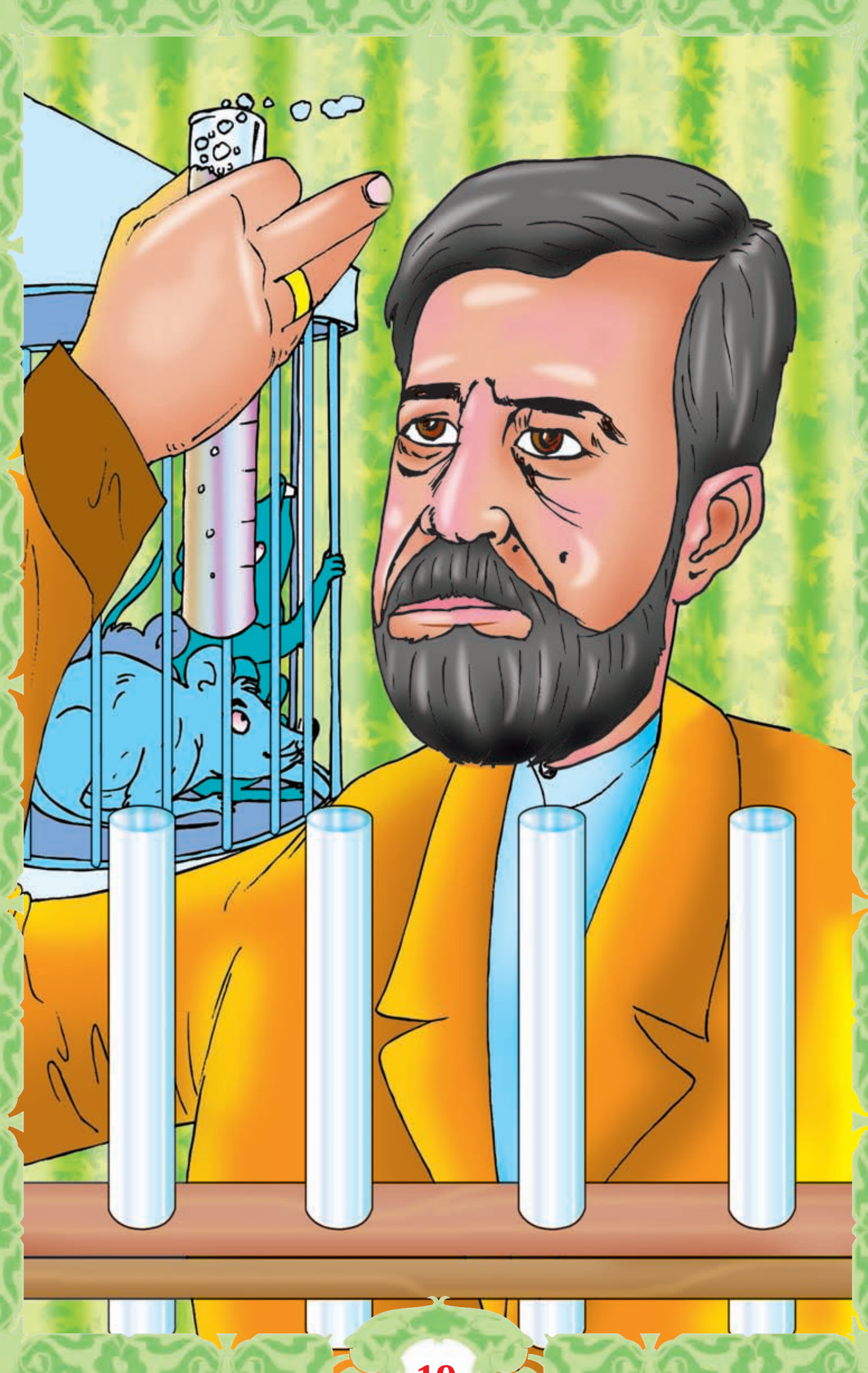
- مَا مَعْنَى الْمُثَابَرَةِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- الْمُثَابَرَةُ يَا بُنَيَّ هِيَ قُدْرَةُ الْإِنْسَـانِ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ الَّذِي بَدَأَهُ مُتَسَـلِّحًا بِإِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ وَعَزْمٍ حَدِيدِيٍّ، لَا تَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ مُوَاجَهَةُ مُشْكِلَاتٍ أَوْ صُعُوبَاتٍ، وَلَا يَتَرَاجَعُ أَوْ يَسْتَسْلِمُ أَمَامَ أَيَّةِ عَقَبَاتٍ أَوْ طُرُقٍ شَاقَّةٍ أَوْ مَسْدُودَةٍ، بَلْ يَمْضِي مُتَخَطِّيًا كُلَّ الْعَقَبَاتِ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بِخِبْرَاتِهِ وَقُدُرَاتِهِ وَمَهَارَاتِهِ، فَالْمُثَابَرَةُ ضِدُّ الْيَأْسِ، وَضِدُّ الْفَشَلِ تَمَامًا.

وَوَاصَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- إِنَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْـبَابِ فَشَـلِ الْبَعْضِ في أَعْمَالِهِمْ نَقْصَ الْمُثَابَـرَةِ لَدَيْهِمْ، حَيْثُ تَكُـونُ الْبِدَايَاتُ جَيِّدَةً، ثُمَّ مَـعَ أُولَى الْعَقَبَاتِ يَمِيلُ الْبَعْضُ إِلَى الِاسْتِسْـلَامِ،



وَتَظْهَرُ عَلَيْهِمْ عَلَامَاتُ الْيَأْسِ وَالِانْهِزَامِ وَالتَّرَاجُعِ؛ وَلِذَا فَلَا بَدِيلَ لِاسْتِكْمَالِ الْأَعْمَالِ وَالنَّجَاحِ فِي تَحْقِيقِهَا عَنِ الْمُثَابَرَةِ، وَالشَّخْصُ الَّذِي يَجْعَلُ الْمُثَابَرَةَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، لَا يَعْرِفُ الْيَأْسَ أَوِ الْفَشَلَ، وَيُلَازِمُهُ دَائِمًا التَّوْفِيقُ وَالنَّجَاحُ، وَيَكُونُ شِعَارُهُ دَائِمًا: «لَا يَأْسَ مَعَ الْحَيَاةِ، وَلَا حَيَاةَ مَعَ الْيَأْسِ».

وَعِنْدَمَا فَهِمَتْ «مَرْيَمُ» مَعْنَى الْمُثَابَرَةِ، قَالَتْ:

- مَا دَامَ هَذَا مَعْنَى الْمُثَابَرَةِ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يُعَدُّونَ أَفْضَلَ النَّاسِ مُثَابَرَةً، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

ابْتَسَمَ الْجَدُّ وَقَالَ مُوَافِقًا:

- بَلَى يَا بُنَيَّتِي.. بَلَى. أَحْسَنْتِ يَا «مَرْيَمُ»؛ فَإِنَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَرُسُلَهُ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ مُثَابَرَةً عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَدْعُو قَوْمَهُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَعَ كُلِّ هَذَا لَمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ إِلَّا الْقَلِيلُ؛ وَلَقَدْ سُمِّيَ كُلٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ: «نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٍ» عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِـ «أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ»؛ لِمُثَابَرَتِهِمْ فِي دَعْوَةِ أَقْوَامِهِمْ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ [الْأَحْقَاف: 35].

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- لَقَدْ عَلِمْنَا أَمْثِلَةً عَنِ الْمُثَابَرَةِ لَدَى الْعُلَمَاءِ، وَلَدَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَمَاذَا عَنْ أَنْوَاعِ الْمُثَابَرَةِ الْأُخْرَى؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- مِنْ أَنْوَاعِ الْمُثَابَرَةِ يَا «عُمَرُ» أَيْضًا مَا يَلِي:

★ الْمُثَابَرَةُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالِاجْتِهَادِ فِي اسْتِذْكَارِ الدُّرُوسِ.

★ الْمُثَابَرَةُ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْعِبَادَاتِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ.

★ الْمُثَابَرَةُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ أَفْضَلَ تَرْبِيَةٍ.

★ الْمُثَابَرَةُ فِي أَدَاءِ الْعَمَلِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ مُمْكِنٍ.

★ الْمُثَابَرَةُ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ.

★ الْمُثَابَرَةُ فِي عِلَاجِ الْمَرَضِ مَهْمَا كَانَتِ الْأَمْرَاضُ مُسْتَعْصِيَةً.

★ الْمُثَابَرَةُ عَلَى رَدِّ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ، وَعَدَمِ الِاسْتِسْلَامِ لَهُمْ.

★ الْمُثَابَــرَةُ عَلَى طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ وَالْعَفْوِ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْــرَفُوا عَلَى أَنْفُسِــهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53].

وَتَعَهَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِأَنْ يَتَحَلَّيَا بِخُلُقِ الْمُثَابَرَةِ دَائِمًا.



الْحِـرْصُ عَلَى الْجَـارِ

سُـمِعَ جَرَسُ الْبَـابِ، فَأَسْـرَعَتْ «مَرْيَمُ» إِلَى الْبَـابِ وَفَتَحَتْهُ، فَـإِذَا بِجَارَتِهِمُ الْفَاضِلَةِ «سَـمِيرَةَ» أَمَامَهَا، فَاحْتَفَـتْ بِهَا «مَرْيَمُ» وَأَدْخَلَتْهَا حَيْثُ جَلَسَـتْ فِي غُرْفَةِ الاِسْتِقْبَالِ. وَنَادَتِ الْحَفِيدَةُ جَدَّتَهَا، الَّتِي رَحَّبَتْ بِالضَّيْفَةِ أَيَّمَا تَرْحِيبٍ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا حَدِيثٌ قَصِيرٌ، قَامَتْ عَلَى إِثْرِهِ الْجَدَّةُ وَاخْتَفَتْ دَاخِلَ الْبَيْتِ، ثُمَّ عَادَتْ بَعْدَ قَلِيلٍ وَفِي يَدِهَا شَيْءٌ مَا أَعْطَتْهُ لِلْجَارَةِ الَّتِي اسْتَأْذَنَتْ وَانْصَرَفَتْ لِحَالِهَا.

قَالَتْ «مَرْيَمُ» وَهِيَ تَسْأَلُ جَدَّتَهَا:

- مَاذَا كَانَتْ تُرِيدُ جَارَتُنَا الْعَزِيزَةُ السَّيِّدَةُ «سَمِيرَةُ»؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- سَأَلَتْنِي يَا بُنَيَّتِي مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ.

ابْتَسَمَتْ «مَرْيَمُ» وَقَالَتْ:

- كَمْ أَنَا سَعِيدَةٌ يَا جَدَّتِي الْحَبِيبَةَ؛ لِأَنَّنَا نَقِفُ مَعَ جَارَتِنَا فِي تَلْبِيَةِ حَاجَتِهَا.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- دِينُنَا الْإِسْـلَامِيُّ دِينُ تَرَابُطٍ وَتَآلُفٍ، وَيَدْعُو إِلَى الْمَحَبَّةِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، وَبِخَاصَّةٍ تَرَابُطُ وَتَآلُفُ الْجِيرَانِ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ فَقَالَ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْـرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾ [النِّسَاء: 36].

وَتَدَخَّلَ الْجَدُّ فِي الْحَدِيثِ فَقَالَ:

- كُلُّ مَنْ جَاوَرَ الْمُسْلِمَ فِي السَّكَنِ لَهُ عَلَيْهِ حَقُّ الْجِوَارِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ وُجُودِ صِلَـةِ قُرْبَى أَوْ رَابِطَةِ دِينٍ، وَفِي هَذَا تَكْرِيمٌ لِلْجَارِ فِي دِينِنَا الْإِسْـلَامِيِّ الْعَظِيمِ، قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «مَـا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِـي بِالْجَارِ حَتَّـى ظَنَنْتُ أَنَّهُ



سَـيُوَرِّثُهُ». وَمِنْ وَصَايَاهُ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ...».

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- جَدِّيَ الْعَزِيزَ، أَوَدُّ مَعْرِفَةَ حَقِّ الْجَارِ عَلَى جَارِهِ الْمُسْلِمِ.

رَدَّ الْجَدُّ:

- حَسَنًا يَا «عُمَرُ».. يُمْكِنُ تَحْدِيدُ أَهَمِّ حُقُوقِ الْجَارِ فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

★ حُسْـنِ الْمُعَامَلَةِ؛ فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ سَـمْحٌ مَعَ جَارِهِ، حَسَنُ الْعِشْرَةِ مَعَهُ، يَلْقَاهُ دَائِمًا بِوَجْهٍ بَشُـوشٍ وَابْتِسَامَةٍ رَقِيقَةٍ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِاسْتِفَادَةِ مِنْ بَيْتِهِ إِنِ احْتَاجَ إِلَى شَـيْءٍ مِـنْ ذَلِكَ، مُهْتَدِيًا بِهَدْيِ الرَّسُـولِ الْكَرِيمِ ﷺ الْقَائِلِ: «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ».

★ أَنْ يُحِـبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِـهِ، فَالْمُسْـلِمُ الْمُتَفَتِّحُ الْبَصِيـرَةِ، وَالْمُرْهَفُ الْحِسِّ، يُحِسُّ بِإِحْسَاسِ جَارِهِ، فَيَفْرَحُ لِفَرَحِهِ وَيَتَأَلَّمُ لِأَلَمِهِ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، آخِذًا فِي ذَلِكَ بِقَوْلِ الرَّسُـولِ الْكَرِيمِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

★ أَنْ يُشْـعِرَهُ دَائِمًا بِرُوحِ التَّكَافُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ؛ فَيُهْدِيَهُ بَعْضَ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي يَشُـمُّ الْجَارُ رَائِحَةَ شِـوَائِهَا وَطَبْخِهَا، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ مِـنْ بَيْنِ الْجِيرَانِ الصَّغِيرُ الْقَاصِرُ، وَالْيَتِيمُ الْبَائِسُ، وَالْأَرْمَلَةُ الْمِسْـكِينَةُ، وَالشَّـيْخُ الْعَاجِزُ، مُتَمَثِّلًا فِي ذَلِكَ حَدِيثَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

★ أَنْ يُسَـاعِدَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ فَإِذَا شَـعَرَ الْمُسْلِمُ بِأَنَّ جَارَهُ فِي ضِيقٍ وَعُسْرٍ، وَهُوَ يَعِيشُ مَيْسُـورَ الْحَالِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَمُدَّ يَدَ الْمُسَـاعَدَةِ إِلَى هَذَا الْجَارِ، سَوَاءٌ بِالْمَالِ أَوْ بِمَا يَسُدُّ حَاجَتَهُ.

فَعَلَيْكُمَا يَا أَحْفَادِي الْأَعِزَّاءَ بِالْحِرْصِ عَلَى الْجَارِ وَمُعَامَلَتِهِ أَفْضَلَ مُعَامَلَةٍ.

وَتَعَهَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» أَنْ يَحْرِصَا عَلَى مُعَامَلَةِ الْجَارِ أَفْضَلَ مُعَامَلَةٍ.



بِـرُّ الْوَالِدَيْـنِ

عِنْدَ عَوْدَةِ «عُمَرَ» مِنَ الْمَدْرَسَـةِ، كَانَتْ تَبْدُو عَلَيْهِ عَلَامَاتُ السُّـرُورِ وَالْفَرَحِ، وَعِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ أَجَابَ قَائِلًا:

- تَحَدَّثْتُ الْيَوْمَ فِي الْإِذَاعَةِ الْمَدْرَسِـيَّةِ فِي طَابُورِ الصَّبَـاحِ عَنْ مَوْضُوعٍ أَعْجَبَ الْجَمِيعَ: زُمَلَائِي التَّلَامِيذَ، وَأَسَاتِذَتِي، وَمُدِيرَ الْمَدْرَسَةِ، وَصَفَّقُوا لِي طَوِيلًا.

سَأَلَ الْجَدُّ حَفِيدَهُ:

- وَمَاذَا كَانَ عُنْوَانُ الْمَوْضُوعِ الَّذِي تَحَدَّثْتَ عَنْهُ يَا «عُمَرُ»؟

أَجَابَ «عُمَرُ»:

- عَنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ..

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ ابْتِسَامَةً رَقِيقَةً، وَقَالَتْ:

- أَحْسَنْتَ اخْتِيَارَ الْمَوْضُوعِ يَا «عُمَرُ»، هَلْ يُمْكِنُكَ ذِكْرُ بَعْضِ الْمُقْتَطَفَاتِ مِنْهُ؟

رَدَّ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- عَلَى الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ يَا جَدَّتِي الْحَبِيبَةَ.

وَأَخْرَجَ الْحَفِيدُ مِنْ حَقِيبَةِ الْمَدْرَسَةِ وَرَقَةً مُدَوَّنًا فِيهَا مَوْضُوعُ «بِرِّ الْوَالِدَيْنِ»، وَبَدَأَ فِي قِرَاءَتِهَا فَقَالَ:

- إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ الْمُسْـلِمِ الْحَقِّ الْبِرَّ بِالْوَالِدَيْنِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْبِرَّ بِالْوَالِدَيْنِ أَمْرٌ مِنْ أَجَلِّ الْأُمُورِ وَأَعْظَمِهَا الَّتِي حَضَّ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، فَلَقَدْ رَفَعَ الْإِسْـلَامُ مَقَامَ الْوَالِدَيْنِ إِلَى مَرْتَبَةٍ لَمْ تَعْرِفْهَا الْإِنْسَانِيَّةُ فِي غَيْرِ هَذَا الدِّينِ؛ إِذْ جَعَلَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا وَالْبِرَّ بِهِمَا فِي مَرْتَبَةٍ تَلِي مَرْتَبَةَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعُبُودِيَّةِ لَهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْـرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النِّسَاء: 36].

وَتَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ»:


مدرسة العلم و

- مَا مَعْنَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزُ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- بِرُّ الْوَالِدَيْنِ يَا بُنَيَّتِي يَعْنِي الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا، وَطَاعَتَهُمَا، وَفِعْلَ الْخَيْرَاتِ لَهُمَا، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْوَالِدَيْنِ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً لَا تَعْدِلُهَا مَنْزِلَةٌ، فَجَعَلَ بِرَّهُمَا وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا، وَالْعَمَلَ عَلَى رِضَاهُمَا فَرْضًا عَظِيمًا، وَفِعْلًا كَرِيمًا؛ فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ فِي حَيَاتِهِمَا طَاعَةً وَعَمَلًا وَإِحْسَانًا، وَيَبَرُّهُمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا بِالدُّعَاءِ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، كَمَا أَنَّهُ يَوَدُّ وَيُكْرِمُ أَصْدِقَاءَهُمَا.

كَانَ النَّبِيُّ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - غُلَامًا صَغِيرًا يُحِبُّ وَالِدَيْهِ، وَكَانَ يُطِيعُهُمَا وَيَبَرُّهُمَا. وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَاءَهُ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَطَلَبَ مِنْهُ طَلَبًا عَجِيبًا وَصَعْبًا، حَيْثُ قَالَ لَهُ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصَّافَّات: 102]، فَرَدَّ عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي ثِقَةِ الْمُؤْمِنِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالرَّاضِي بِقَضَائِهِ: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصَّافَّات: 102].

وَهَكَذَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ بَارًّا بِأَبِيهِ، مُطِيعًا لَهُ فِيمَا أَمَرَهُ، فَلَمَّا أَمْسَكَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - السِّكِّينَ وَأَرَادَ أَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، جَاءَ الْفَرَجُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا وَمَعَهُ كَبْشٌ عَظِيمٌ فِدَاءً لِإِسْمَاعِيلَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافَّات: 107].

تَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- وَمَا جَزَاءُ مَنْ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: يُمْكِنُ تَحْدِيدُ جَزَاءِ مَنْ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ فِي النِّقَاطِ الْآتِيَةِ:

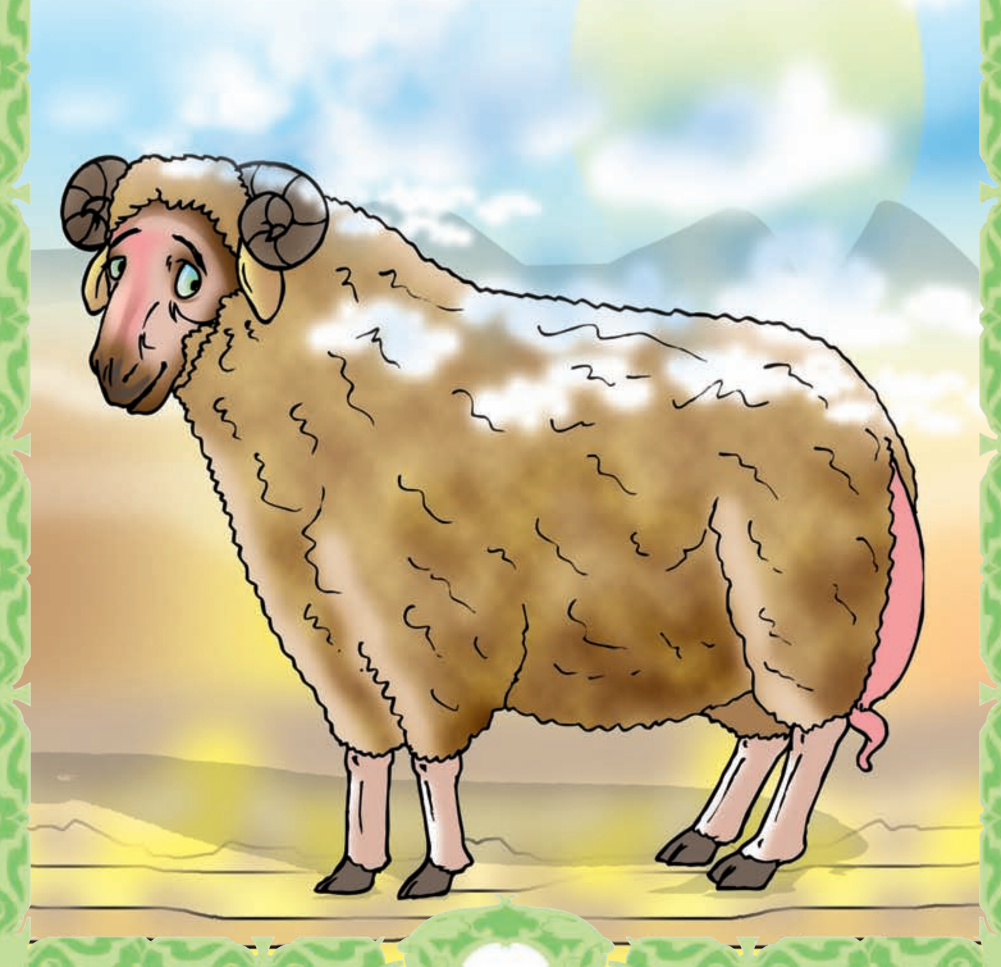
★ الْفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يَسْعَى دَائِمًا إِلَى رِضَا وَالِدَيْهِ؛ حَتَّى يَنَالَ رِضَا رَبِّهِ، وَيَتَجَنَّبَ تَمَامًا إِغْضَابَهُمَا؛ حَتَّى لَا يُغْضِبَ رَبَّهُ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ أَرْضَى وَالِدَيْهِ فَقَدْ أَرْضَى اللَّهَ، وَمَنْ أَسْخَطَ وَالِدَيْهِ فَقَدْ أَسْخَطَ اللَّهَ».

★ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ.

★ الْفَوْزِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ؛ قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ الرَّجُلُ: أُمِّي، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «رِضَا اللَّهِ فِي بِرِّهَا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ».

★ الْفَـوْزِ بِبِرِّ الْأَبْنَاءِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ».

وَسَـعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِهَذِهِ الْمَعَارِفِ وَالْمَعْلُومَاتِ الَّتِي اكْتَسَبَاهَا عَنْ قِيمَةِ «بِرِّ الْوَالِدَيْنِ».



الْأَمَـانَـةُ

حَكَى الْجَدُّ لِلْعَائِلَةِ مَا قَرَأَهُ في جَرِيدَةِ الصَّبَاحِ أَنَّ سَــائِقَ سَيَّارَةِ أُجْرَةٍ وَجَدَ في سَيَّارَتِهِ حَقِيبَةً نَسِيَهَا أَحَدُ الرُّكَّابِ، وَلَمَّا فَتَحَهَا وَجَدَ فِيهَا مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ يَزِيدُ عَلَى مِئَةِ أَلْفِ جُنَيْهٍ، فَأَسْــرَعَ السَّــائِقُ إِلَى قِسْمِ الشُّــرْطَةِ لِيُسَلِّمَ الْحَقِيبَةَ، وَكَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ حَيْثُ حَضَرَ صَاحِبُ الْحَقِيبَةِ إِلَى قِسْمِ الشُّرْطَةِ لِيُقَدِّمَ بَلَاغًا عَنْ فَقْدِهِ حَقِيبَتَهُ الَّتِي نَسِيَهَا في سَيَّارَةِ أُجْرَةٍ كَانَ يَسْتَقِلُّهَا. وَكَمْ كَانَتْ فَرْحَةُ صَاحِبِ الْحَقِيبَةِ عِنْدَمَا رَآهَا بِالْمَبْلَغِ كَامِلًا مَعَ السَّائِقِ، وَحَاوَلَ أَنْ يُكَافِئَ السَّائِقَ الْأَمِينَ عَلَى أَمَانَتِهِ بِمَنْحِهِ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ، إِلَّا أَنَّ السَّائِقَ الْأَمِينَ رَفَضَ ذَلِكَ، وَأَوْضَحَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ سِــوَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيْهِ ضَمِيرُهُ. وَبَعَثَ قَائِدُ قِسْــمِ الشُّرْطَةِ بَلَاغًا إِلَى وَزَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ بِالْوَاقِعَةِ، فَمَنَحَ وَزِيرُ الدَّاخِلِيَّةِ هَذَا السَّائِقَ الْأَمِينَ مُكَافَأَةً مَالِيَّةً، عِلَاوَةً عَلَى مِيدَالِيَةٍ ذَهَبِيَّةٍ كَتَبَ عَلَيْهَا: شُكْرٌ خَاصٌّ مِنْ وَزَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلسَّائِقِ الْأَمِينِ.

قَالَ «عُمَرُ» في سَعَادَةٍ:

- مَا أَجْمَلَ مَا صَنَعَهُ هَذَا السَّائِقُ! وَمَا أَجْمَلَ مُكَافَأَةَ وَزِيرِ الدَّاخِلِيَّةِ لَهُ!

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- إِنَّهَا الْأَمَانَةُ يَا «عُمَرُ»، وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الْمُؤْمِنُ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ» مُتَسَائِلَةً:

- الْأَمَانَةُ!! وَمَا مَعْنَى الْأَمَانَةِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- الْأَمَانَةُ يَا بُنَيَّتِي هِيَ أَدَاءُ الْحُقُوقِ لِمُسْتَحِقِّيهَا، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا، فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَهِيَ خُلُقٌ جَلِيلٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ، وَأَسَاسٌ مِنْ أُسُســهِ، فَهِيَ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ حَمَلَهَا الْإِنْسَــانُ، بَيْنَمَا رَفَضَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا لِعِظَمِهَا وَثِقَلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

عَلَى السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الْأَحْزَاب: 72].

وَوَاصَلَتِ الْجَدَّةُ حَدِيثَهَا عَنِ الْأَمَانَةِ فَقَالَتْ:

- عُرِفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَانُوا يُلَقِّبُونَهُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّـــرِيفَةِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَحِينَمَا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَلَّفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بِــرَدِّ الْوَدَائِعِ وَالْأَمَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهِ إِلَى أَصْحَابِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.



وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- مَا أَنْوَاعُ الْأَمَانَةِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

الْأَمَانَةُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ يَا بُنَيَّ، أَهَمُّهَا مَا يَلِي:

1 ـ الْأَمَانَةُ فِي الْعِبَادَةِ؛ فَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنْ فُرُوضِ الدِّينِ، فَيُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفُرُوضِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نُؤَدِّيَهَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

2 ـ الْأَمَانَةُ فِي الْجَوَارِحِ؛ فَالْعَيْنُ أَمَانَةٌ يَجِبُ أَنْ يَغُضَّهَا عَنِ الْحَرَامِ، وَالْأُذُنُ أَمَانَةٌ يَجِبُ أَنْ يُجَنِّبَهَا سَمَاعَ الْحَرَامِ، وَالْيَدُ أَمَانَةٌ، وَالْقَدَمُ أَمَانَةٌ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

3 ـ الْأَمَانَةُ فِي رَدِّ الْوَدَائِعِ؛ فَمِنَ الْأَمَانَةِ حِفْظُ الْوَدَائِعِ وَأَدَاؤُهَا لِأَصْحَابِهَا عِنْدَمَا يَطْلُبُونَهَا.

4 ـ الْأَمَانَةُ فِي الْعَمَلِ؛ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ، فَعَلَى التِّلْمِيذِ أَنْ يَسْتَذْكِرَ دُرُوسَهُ وَيُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وَيَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ عُلُومِهِ وَدُرُوسِهِ.

5 ـ الْأَمَانَةُ فِي الْكَلَامِ؛ فَمِنَ الْأَمَانَةِ أَنْ يَلْتَزِمَ الْمُسْلِمُ بِالْكَلِمَةِ الْجَادَّةِ، فَيَعْرِفُ قَدْرَ الْكَلِمَةِ وَأَهَمِّيَّتَهَا، فَالْكَلِمَةُ قَدْ تُدْخِلُ صَاحِبَهَا الْجَنَّةَ، وَقَدْ تُدْخِلُهُ النَّارَ.

6 ـ الْأَمَانَةُ فِي حِفْظِ الْأَسْرَارِ؛ فَالْمُسْلِمُ يَحْفَظُ سِرَّ أَخِيهِ وَلَا يَخُونُهُ، وَلَا يُخْفِي عُيُوبَ بِضَاعَتِهِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ شِرَاءَهَا، قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

قَالَتْ «مَرْيَمُ» مُتَسَائِلَةً:

- وَمَا جَزَاءُ الْأَمَانَةِ؟

رَدَّتِ الْجَدَّةُ:

- عِنْدَمَا يَلْتَزِمُ النَّاسُ بِالْأَمَانَـةِ يَتَحَقَّقُ لَهُمُ الْخَيْرُ، وَيَعُمُّهُـمُ الْحُبُّ، وَتُصْبِحُ حَيَاتُهُمُ الدُّنْيَا سَعِيدَةً، وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الْأَمَانَةَ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ هُـمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [الْمَعَارِج: 30]. أَمَّـا فِي الْآخِرَةِ فَيَفُـوزُ الْأُمَنَاءُ بِرِضَا رَبِّهِـمْ وَبِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّـمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.

وَأَكَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَـرَ» وَ«مَرْيَمَ» الْتِزَامَهُمَا بِقِيمَةِ الْأَمَانَـةِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا طَوَالَ حَيَاتِهِمَا.



حُسْـنُ الظَّـنِّ

عَادَ «عُمَرُ» مِنْ مَدْرَسَـتِهِ وَعَلَامَاتُ الْحُزْنِ وَالْأَسَـى تَكْسُـو وَجْهَهُ، وَعِنْدَمَا لَاحَظَتِ الْجَدَّةُ ذَلِكَ، سَأَلَتْهُ عَنْ سِرِّ هَذَا الْحُزْنِ، وَذَاكَ الْأَسَى، فَقَالَ لَهَا فِي نَدَمٍ:

- لَقَدْ مَرَّ بِي الْيَوْمَ فِي الْمَدْرَسَةِ مَوْقِفٌ آلَمَنِي بِشِدَّةٍ، وَنَدِمْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا!

وَفِي انْزِعَاجٍ وَتَخَوُّفٍ سَأَلَتِ الْجَدَّةُ حَفِيدَهَا قَائِلَةً:

- وَلِمَ هَـذَا الْأَلَمُ وَذَاكَ النَّدَمُ يَا «عُمَرُ»؟!

أَجَابَ «عُمَرُ» بِعَلَامَاتِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى نَفْسِهَا قَائِلًا:

- فَقَـدْتُ الْيَوْمَ قَلَمِيَ الثَّمِينَ الَّذِي أَعْتَزُّ بِهِ كَثِيرًا، وَبَحَثْتُ عَنْهُ فِي حَقِيبَتِي، وَفِي دَاخِلِ طَاوِلَتِي وَأَسْـفَلِهَا فَلَمْ أَجِدْهُ، وَحَزِنْتُ عَلَى فَقْدِ الْقَلَمِ كَثِيرًا، وَتَسَاءَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِـي مَنْ يَكُونُ قَدْ أَخَذَ الْقَلَمَ؟ وَظَنَنْتُ أَنَّ زَمِيلِي «بَسَّـامًا» هُوَ الَّذِي سَـرَقَهُ مِنْ حَقِيبَتِي؛ لِأَنَّهُ مُنْذُ يَوْمَيْنِ أَمْسَـكَ بِالْقَلَمِ وَأُعْجِبَ بِهِ كَثِيرًا وَقَـالَ: يَا لَيْتَ لِي مِثْلَ هَذَا الْقَلَمِ. وَلَمْ أُفَاتِحْ «بَسَّـامًا» فِي هَـذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنَّنِي طَوَالَ الْيَـوْمِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ عَـلَى أَنَّهُ لِصٌّ وَسَـارِقٌ، وَعِنْدَمَا أَمَرَنَـا مُعَلِّمُ الْعُلُومِ بِإِخْـرَاجِ الْكِتَابِ الْمَدْرَسِـيِّ لِقِرَاءَةِ مَوْضُـوعٍ مَا، وَجَدْتُ الْقَلَـمَ دَاخِلَ كِتَابِ الْعُلُومِ، فَشَـعَرْتُ وَقْتَهَا بِالْخِزْيِ وَالنَّدمِ - رَغْمَ فَرْحَتِـي بِعُثُورِي عَلَى الْقَلَمِ - وَذَلِكَ لِأَنَّنِي ظَنَنْتُ ظَنَّ السُّوءِ بِزَمِيلِي «بَسَّامٍ» وَهُوَ بَرِيءٌ تَمَامًا.

وَطَيَّبَتِ الْجَدَّةُ خَاطِرَ حَفِيدِهَا قَائِلَةً:

- لَا عَلَيْـكَ يَا وَلَدِي.. إِنَّـهُ دَرْسٌ لَكَ يُفِيدُكَ فِي حَيَاتِكَ بِأَنْ تُحْسِـنَ الظَّنَّ دَائِمًا بِالْآخَرِينَ، وَأَنْ تَتَجَنَّبَ ظَنَّ السُّوءِ الَّذِي نَهَانَا عَنْهُ اللَّهُ، وَنَهَانَا عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ، فَإِنَّ مِنْ خُلُقِ الْمُسْلِمِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَا يَظُنُّ بِالنَّاسِ ظَنَّ السُّوءِ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيـرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الْحُجُرَات: 12]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

وَأَكْمَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ:

- لَيْسَ أَهْنَأَ لِقَلْبِ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَلَا أَسْعَدَ لِنَفْسِهِ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ؛ فَبِهِ يَسْلَمُ مِنْ أَذَى الْخَوَاطِرِ الْمُقْلِقَةِ الَّتِي تُؤْذِي النَّفْسَ، وَتُكَدِّرُ الْبَالَ، وَتُتْعِبُ الْجَسَدَ. إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يُؤَدِّي إِلَى سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَتَدْعِيمِ رَوَابِطِ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ فَلَا تَحْمِلُ الصُّدُورُ غِلًّا وَلَا حِقْدًا. وَإِذَا كَانَ أَبْنَاءُ الْمُجْتَمَعِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْمُشْرِقَةِ، فَإِنَّ أَعْدَاءَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ فِيهِمْ أَبَدًا، وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ مُتَآلِفَةٌ وَالنُّفُوسَ صَافِيَةٌ، وَالضَّمَائِرَ



خَالِصَةٌ. وَأَضِفْ إِلَى هَذَا حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ ﷺ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَا الْعَوَامِلُ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى إِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْآخَرِينَ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ مُبْتَسِمَةً:

- أَحْسَنْتِ السُّؤَالَ يَا بُنَيَّتِي.. إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى إِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْآخَرِينَ، وَالتَّمَتُّعِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مَا يَلِي:

★ الدُّعَاءُ: فَإِنَّهُ بَابُ كُلِّ خَيْرٍ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ قَلْبًا سَلِيمًا.

★ إِنْزَالُ النَّفْسِ مَكَانَ الْآخَرِ: فَلَوْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا عِنْدَ صُدُورِ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ مِنْ أَخِيهِ وَضَعَ نَفْسَهُ مَكَانَهُ، لَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى إِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْآخَرِينَ، وَلَقَدْ وَجَّهَ اللَّهُ عِبَادَهُ لِهَذَا الْمَعْنَى حِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النُّور: 12].

★ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ: وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ شَرًّا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا».

★ الْتِمَاسُ الْأَعْذَارِ لِلْآخَرِينَ: فَعِنْدَ صُدُورِ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يُسَبِّبُ لَكَ ضِيقًا أَوْ حُزْنًا حَاوِلِ الْتِمَاسَ الْأَعْذَارِ. وَحَالُ الصَّالِحِينَ يَقُولُ: «الْتَمِسْ لِأَخِيكَ سَبْعِينَ عُذْرًا». وَالشَّاعِرُ يَقُولُ:

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا ... لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ

★ تَجَنُّبُ الْحُكْمِ عَلَى النِّيَّاتِ: وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُسْنِ الظَّنِّ، حَيْثُ يَتْرُكُ الْمُسْلِمُ السَّرَائِرَ إِلَى الَّذِي يَعْلَمُهَا وَحْدَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَاللَّهُ لَمْ يَأْمُرْنَا بِشَقِّ الصُّدُورِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى سَرَائِرِ الْآخَرِينَ.

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِالتَّعَرُّفِ عَلَى هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَالْمَعْلُومَاتِ الَّتِي اكْتَسَبَاهَا عَنْ قِيمَةِ «حُسْنِ الظَّنِّ».



الْإِتْقَـانُ

أَبْلَـغَ الْجَدُّ حَفِيدَيْهِ «عُمَـرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِأَنَّ خَالَهُمَا «يُوسُـفَ» قَدِ اتَّصَلَ بِهِ هَاتِفِيًّا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ اشْـتَرَى سَـيَّارَةً جَدِيـدَةً، كَمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ ثَمَنَهَـا غَالٍ؛ لِأَنَّهَا صُنِعَتْ فِي الْيَابَانِ.

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- أُلَاحِظُ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ أَنَّ أَيَّةَ أَجْهِزَةٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ، أَوْ سَيَّارَاتٍ صُنِعَتْ فِي الْيَابَانِ تَكُونُ دَائِمًا عَالِيَةَ الْجَوْدَةِ، فَمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- لِأَنَّهُـمْ فِي هَذِهِ الْبِـلَادِ الْمُتَقَدِّمَةِ يُتْقِنُـونَ صُنْعَ كُلِّ شَـيْءٍ، فَالْإِتْقَانُ عِنْدَهُمْ أَسَاسُ حَيَاتِهِمْ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَمَا مَعْنَى الْإِتْقَانِ يَا جَدِّي؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- الْإِتْقَـانُ يَا بُنَيَّتِي هُـوَ أَدَاءُ الْعَمَلِ بِكُلِّ دِقَّةٍ وَعَلَى أَكْمَـلِ وَجْهٍ وَبِإِحْكَامٍ بِدُونِ خَلَلٍ. وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَـيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَـا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّمْل: 88] وَيَقُولُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَـانَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ». وَالْإِحْسَانُ هُوَ الْإِتْقَانُ الْمُبْدِعُ؛ فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - خَلَقَ هَـذِهِ الدُّنْيَا وَفْقَ أَحْكَامٍ وَقَوَانِينَ هِيَ غَايَةٌ فِي الدِّقَّةِ وَنِهَايَةٌ فِي الْإِتْقَانِ.

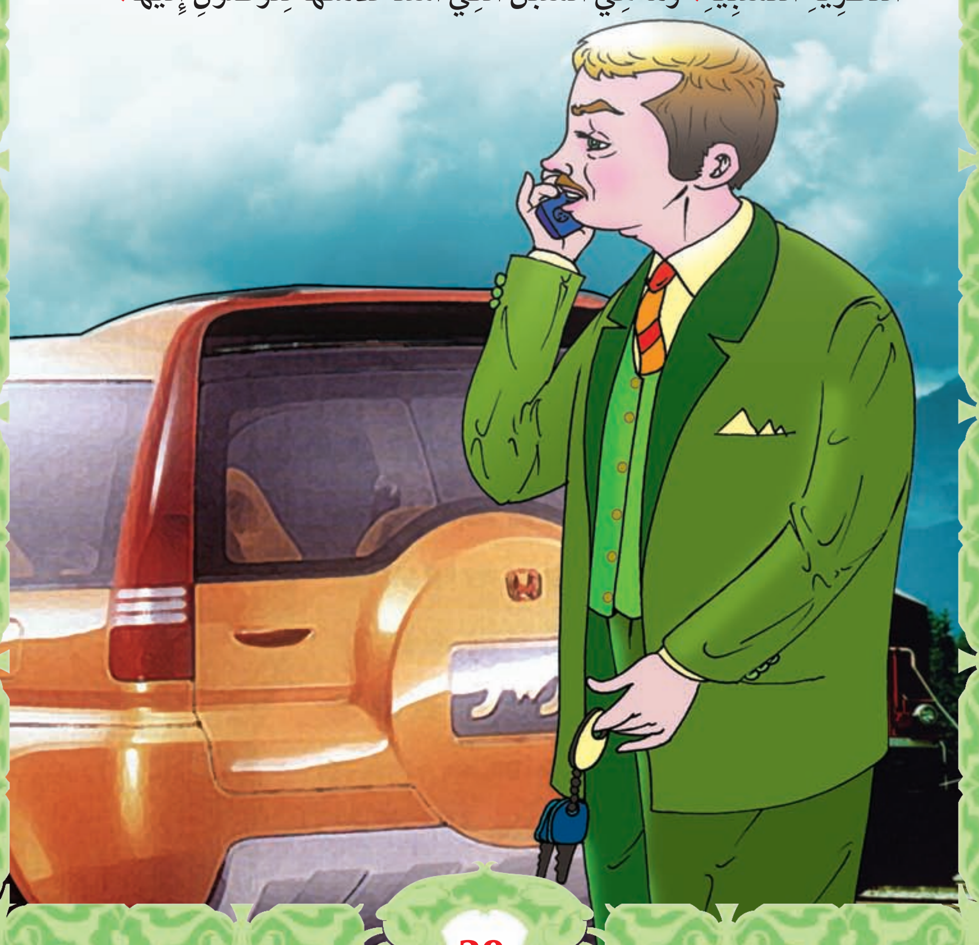
وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- لَقَدْ حَثَّنَا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ نُتْقِنَ مَا نَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ». وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلْمُسْـلِمِ أَنْ يُتْقِنَهُ هُوَ

أَنْ يَتَعَلَّـمَ، وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْـلِمِ أَنْ يُتْقِنَهُ مِنَ الْعِلْـمِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى: تِلَاوَةً وَتَجْوِيدًا وَتَفْسِـيرًا، ثُمَّ يُلِمَّ بِعُلُومِ الْحَدِيثِ وَالسِّيرَةِ، وَأَنْ يَتَفَقَّهَ فِي دِينِهِ، ثُمَّ يُقْبِلَ عَلَى اخْتِصَاصِهِ فَيُتْقِنَ هَذَا الَّذِي تَخَصَّصَ فِيهِ كُلَّ الْإِتْقَانِ، وَلَا يَدَّخِرَ وُسْعًا فِي الْإِحَاطَةِ بِكُلِّ مَا كُتِبَ عَنْهُ.

وَوَاصَلَ الْجَدُّ حَدِيثَهُ عَنِ الْإِتْقَانِ، فَقَالَ:

- إِنَّ الْإِتْقَانَ لَا يَأْتِي بِطَرِيقَةٍ عَفَوِيَّةٍ وَعَشْوَائِيَّةٍ، بَلْ إِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَصَبْرٍ وَمُثَابَرَةٍ، فَهَذَا الْعَالِمُ «أينشـتاين» الَّذِي حَصَـلَ عَلَى جَائِزَةِ نوبل فِي الْعُلُومِ، وَصَاحِبُ النَّظَرِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي طَوَّرَتْ مَفْهُومَنَا عَنِ الْمَادَّةِ وَالطَّاقَةِ بِشَـكْلٍ مُذْهِلٍ، عِنْدَمَا سَأَلَهُ صَحَفِيٌّ شَـابٌّ قَائِلًا: كَيْفَ تَوَصَّلْتَ إِلَى النَّظَرِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ؟ وَمَا هِيَ السُّبُلُ الَّتِي اسْتَخْدَمْتَهَا لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا؟



أَجَابَ الْعَالِمُ قَائِلًا: عَلَى مَدَى سَبْعِ سِنِينَ كَامِلَةٍ كُنْتُ فِيهَا أَبْحَثُ وَأُنَقِّبُ وَأَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَى مُعَادَلَةٍ تَرْبِطُ بَيْنَ الْمَادَّةِ وَالطَّاقَةِ، وَعَلَى مَدَى سَبْعِ سِنِينَ أُخْرَى كُنْتُ مُشْتَغِلًا بِمُحَاوَرَةِ الْعُلَمَاءِ مِنْ شَتَّى الْمُسْتَوَيَاتِ وَمُخْتَلِفِ التَّوَجُّهَاتِ، سَوَاءٌ دَاخِلَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَوْ خَارِجَهَا، حَتَّى تَوَصَّلْتُ إِلَى تِلْكَ الْمُعَادَلَةِ الْمُعَقَّدَةِ.

انْظُرُوا يَا أَحْفَادِي لِهَذَا الْعَالِمِ الَّذِي اسْتَمَرَّ سَبْعَ سِنِينَ فِي الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ وَالْبُحُوثِ وَالْمَرَاجِعِ، وَأَعْقَبَهَا بِسَبْعِ سِنِينَ أُخْرَى بِالْحِوَارِ وَالْمُنَاقَشَةِ مَعَ مُخْتَلِفِ الْعُلَمَاءِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ لَحْظَةَ إِلْهَامٍ إِلَهِيٍّ كَجَانِبٍ غَيْبِيٍّ، أَيْ أَنَّهُ كَانَ بِانْتِظَارِ تِلْكَ اللَّمْسَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تُفِيضُ عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْمَعْلُومَةِ. وَيُؤَكِّدُ «أينشتاين» أَنَّ الْقَضِيَّةَ أَشْرَقَتْ فِي ذِهْنِهِ فَجْأَةً، وَخِلَالَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ تَوَصَّلَ إِلَى مَا بَحَثَ عَنْهُ طَوَالَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا. إِنَّهُ مَا تَوَصَّلَ إِلَى نَظَرِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ - وَالَّتِي قَلَبَتْ مَوَازِينَ الْعِلْمِ - بِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَّةٍ عَشْوَائِيَّةٍ، بَلْ تَوَصَّلَ إِلَيْهَا بَعْدَ بَحْثٍ وَعَمَلٍ وَاجْتِهَادٍ وَمُثَابَرَةٍ لِفَتْرَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا، أَتْقَنَ فِيهَا الْعِلْمَ الَّذِي يَبْحَثُ فِيهِ، وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ سَتُتَوِّجُ جُهُودَهُ بِالنَّجَاحِ؛ لِأَنَّهَا مَنْطِقِيَّةٌ وَمُتَوَقَّعَةٌ بَعْدَ الْعَطَاءِ الْمُتْقَنِ مِنَ الْإِنْسَانِ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَمَا أَهَمُّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى إِتْقَانِ عَمَلِهِ؟

رَدَّ الْجَدُّ: هُنَاكَ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ لِإِتْقَانِ الْإِنْسَانِ لِعَمَلِهِ مِنْهَا:

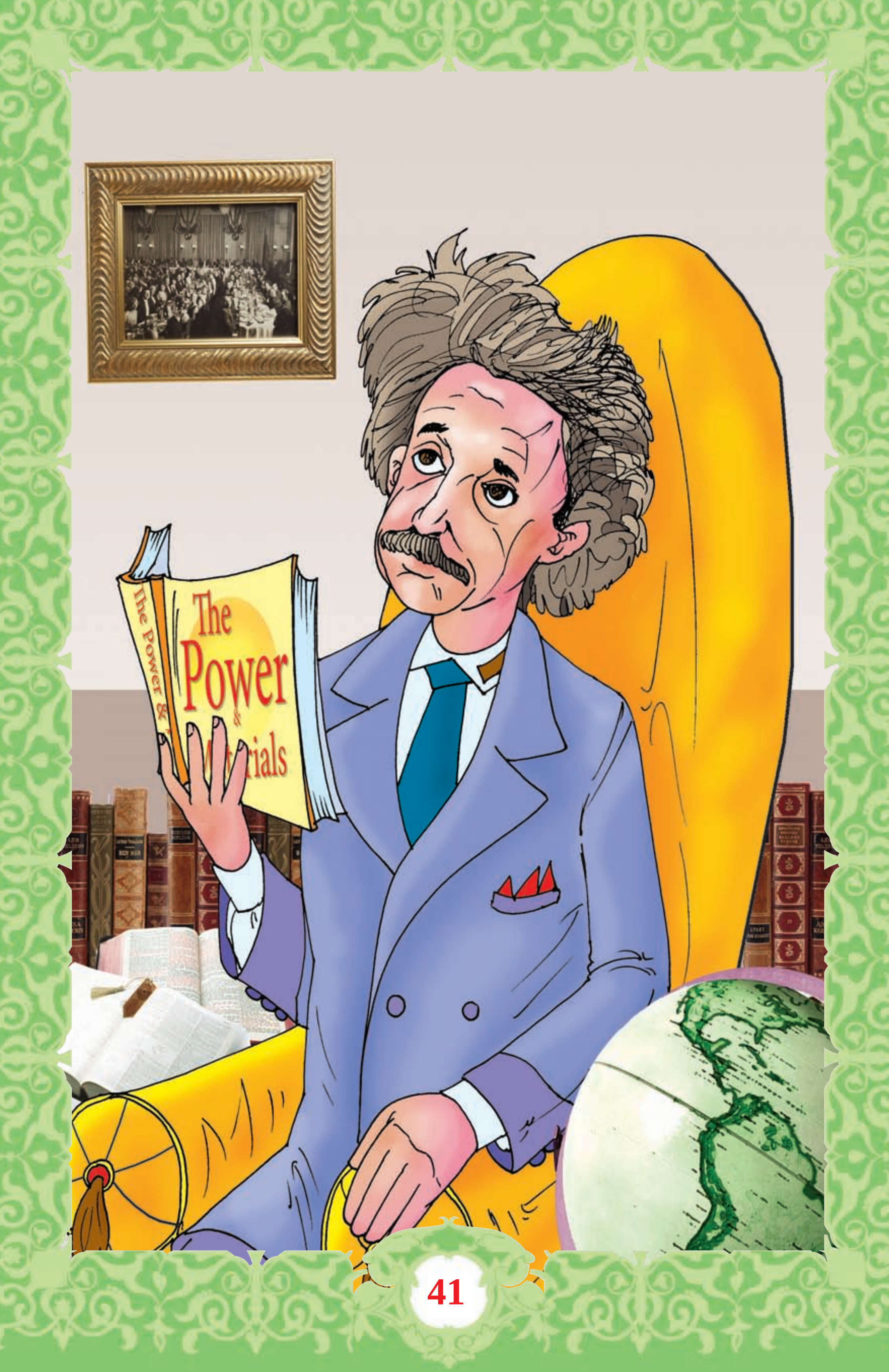
★ أَنْ يَكُونَ لَهُ هَدَفٌ يَسْعَى لِتَحْقِيقِهِ.

★ أَنْ يَمْتَلِكَ الْإِرَادَةَ الْقَوِيَّةَ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ.

★ أَنْ يَمْتَلِكَ الصَّبْرَ وَالْمُثَابَرَةَ.

★ أَنْ يَتَحَلَّى بِالْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ لِلْوُصُولِ لِهَذَا الْهَدَفِ.

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِمَا تَعَلَّمَاهُ عَنْ فَوَائِدِ قِيمَةِ «الْإِتْقَانِ»، وَعَزَمَا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْإِتْقَانُ دَأْبَهُمَا فِي كُلِّ عَمَلٍ.


The Power &
The
Power
&

الْـوَقْـتُ

ظَـلَّ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» يُشَـاهِدَانِ بَرَامِـجَ أَطْفَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَرُسُـومًا مُتَحَرِّكَةً مُتَنَوِّعَةً فِي التِّلِيفِزْيُونِ لِأَكْثَرَ مِنْ سَاعَتَيْنِ! وَنَبَّهَتِ الْجَدَّةُ حَفِيدَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ إِلَى أَنَّ الْوَقْتَ يَمْضِي، وَأَنَّ عَلَيْهِمَا تَأْدِيَةَ وَاجِبَاتٍ مَدْرَسِيَّةٍ عَدِيدَةٍ.

وَعَلَّقَتْ «مَرْيَمُ» عَلَى تَنْبِيهَاتِ جَدَّتِهَا، فَقَالَتْ:

- دَعِينَا يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةَ نَسْـتَمْتِعْ بِمُشَـاهَدَةِ هَـذِهِ الْبَرَامِـجِ التِّلِيفِزْيُونِيَّةِ الْمُمْتِعَةِ، وَتِلْكَ الرُّسُـومِ الْمُتَحَرِّكَةِ الرَّائِعَةِ؛ فَلَدَيْنَا وَقْتٌ طَوِيلٌ نَسْـتَطِيعُ أَنْ نُؤَدِّيَ فِيهِ وَاجِبَاتِنَا الْمَدْرَسِيَّةَ، وَنَسْتَعِدَّ فِيهِ لِأَعْمَالٍ مَدْرَسِيَّةٍ أُخْرَى.

رَدَّتِ الْجَدَّةُ عَلَى حَفِيدَتِهَا قَائِلَةً:

- إِنَّ الدَّقَائِـقَ وَالسَّـاعَاتِ وَالْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ هِـيَ حَيَاةُ الْإِنْسَـانِ وَرَأْسُ مَالِهِ يَا بُنَيَّتِـي، وَكُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي يَهْدِمُ جُزْءًا مِنَ الْعُمَرِ، وَيُقَرِّبُ الْإِنْسَـانَ مِنْ نِهَايَتِهِ الْمَحْتُومَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ».

فَوَقْتُ الْإِنْسَـانِ هُوَ عُمُـرُهُ، وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّـحَابِ، وَيَمْضِي بِسُـرْعَةٍ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ وَقْتِهِ فِيمَا هُوَ نَافِعٌ لِنَفْسِهِ وَلِدِينِهِ وَلِدُنْيَاهُ وَلِمُجْتَمَعِهِ وَلِأُمَّتِـهِ، فَقَدْ عَـاشَ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ، أَمَّـا مَنْ أَضَاعَ هَذَا الْوَقْـتَ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيـهِ بِمَا يَنْفَعُ، فَقَدْ عَاشَ حَيَاةً زَائِفَةً ضَائِعَةً، وَلَا يَجْنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الشَّـقَاءَ وَالْعَذَابَ فِي دُنْيَاهُ وَفِي آخِرَتِهِ.

وَوَاصَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ عَنْ قِيمَةِ الْوَقْتِ، فَقَالَ:

- لِلْوَقْتِ أَهَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي دِينِنَا الْإِسْـلَامِيِّ، فَقَدْ أَقْسَـمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي بِدَايَاتِ الْعَدِيدِ مِنَ السُّـوَرِ، بِأَجْزَاءٍ مِنْهُ، مِثْلَ: وَاللَّيْلِ، وَالنَّهَـارِ، وَالْفَجْرِ، وَالضُّحَى، وَالْعَصْرِ. وَمَعْرُوفٌ أَنَّ اللَّهَ - سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِذَا أَقْسَـمَ بِشَـيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ

دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَهَمِّيَّتِهِ وَعَظَمَتِـــهِ، وَلِيَلْفِتَ الْأَنْظَارَ إِلَيْهِ وَيُنَبِّهَ عَلَى جَلِيلِ مَنْفَعَتِهِ. وَجَاءَتِ السُّـــنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الشَّـــرِيفَةُ لِتُؤَكِّـــدَ عَلَى أَهَمِّيَّـــةِ الْوَقْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيـــمُ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْـــأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ». وَأَخْبَرَنَا ﷺ بِأَنَّ الْوَقْتَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَلَابُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ شُـــكْرِ النِّعْمَةِ وَإِلَّا سُـــلِبَتْ، وَشُـــكْرُ نِعْمَةِ الْوَقْتِ



يَكُونُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِي الطَّاعَاتِ وَاسْتِثْمَارِهَا فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ.

وَمَــنْ تَتَبَّعَ أَخْبَارَ النَّاسِ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَهُمْ، وَعَرَفَ كَيْفَ يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ، عَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ مُضَيِّعُونَ لِأَوْقَاتِهِمْ، مَحْرُومُونَ مِنْ نِعْمَةِ اسْتِغْلَالِ الْعُمُرِ وَاغْتِنَامِ الْوَقْتِ، وَلِذَا نَرَاهُمْ يُنْفِقُونَ أَوْقَاتَهُمْ وَيُهْدِرُونَ أَعْمَارَهُمْ فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالنَّفْعِ.

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- وَمَا السَّبَبُ يَا جَدِّي فِي أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُضَيِّعُونَ أَعْمَارَهُمْ وَأَوْقَاتَهُمْ بِدُونِ نَفْعٍ؟

أَجَابَ الْجَدُّ قَائِلًا: هُنَاكَ يَا بُنَيَّ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ لِذَلِكَ، أَهَمُّهَا مَا يَلِي:

★ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ أَهَمِّيَّةَ الْوَقْتِ فِي حَيَاتِهِمْ.

★ كَمَا أَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَدَيْهِمْ أَهْدَافٌ أَوْ خُطَطٌ وَاضِحَةٌ فِي حَيَاتِهِمْ.

★ وَكَذَلِكَ عَدَمُ مَعْرِفَةِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ بِأَدَوَاتِ وَأَسَالِيبِ تَنْظِيمِ الْوَقْتِ.

★ وَلِأَنَّ لَدَيْهِمْ مُعْتَقَدَاتٍ وَسُلُوكِيَّاتٍ لَا تَهْدُفُ إِلَى التَّخْطِيطِ لِلْمُسْتَقْبَلِ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- أُرِيدُ مَعْرِفَةَ نِقَاطٍ مُحَدَّدَةٍ تُؤَدِّي إِلَى تَوْفِيرِ الْوَقْتِ وَحُسْنِ اسْتِغْلَالِهِ.

رَدَّتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- لَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ السُّــلُوكِيَّاتِ وَالْأَعْمَــالِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى تَوْفِيرِ الْوَقْتِ وَحُسْــنِ اسْتِغْلَالِهِ يَا «مَرْيَمُ» مَا يَلِي:

★ حَدِّدِي أَهْدَافَكِ وَخَطِّطِي لِأَعْمَالِكِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ.

★ احْتَفِظِي دَائِمًا بِقَائِمَةٍ لِلْمَهَامِّ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَقُومِي بِهَا.

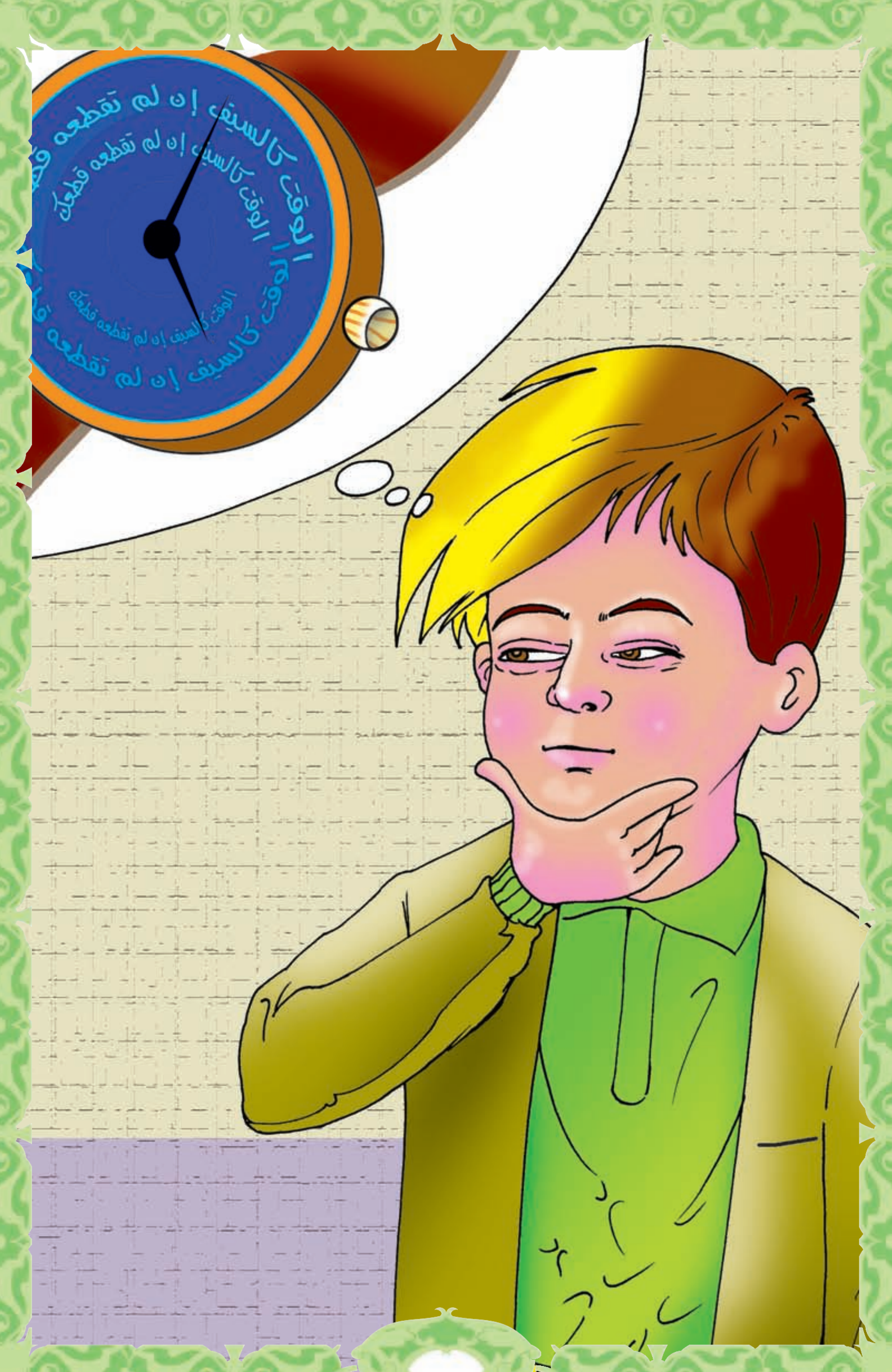
★ عَدَمُ التَّعَامُلِ مَعَ مَهَامَّ مُعَقَّدَةٍ، بَلْ قَسِّمِيهَا إِلَى مَهَامَّ فَرْعِيَّةٍ يَسْهُلُ إِنْجَازُهَا.

★ اسْتَخْدِمِي سَاعَتَكِ فِي مُرَاقَبَةِ الْوَقْتِ فِي أَيِّ مُهِمَّةٍ تَقُومِينَ بِهَا.

★ لَا تَحْتَفِظِي بِمَهَامَّ نَاقِصَةٍ، بَلْ حَاوِلِي الِانْتِهَاءَ مِنْ كُلِّ مُهِمَّةٍ بَدَأْتِ فِيهَا.

★ قُومِي بِاسْتِغْلَالِ وَقْتِ الِانْتِقَالِ أَوِ السَّفَرِ فِي قِرَاءَاتٍ مُفِيدَةٍ.

وَتَعَهَّدَتْ «مَرْيَــمُ» وَ«عُمَرُ» بِالِالْتِــزَامِ بِهَذِهِ النَّصَائِحِ لِلْحِفَــاظِ عَلَى الْوَقْتِ وَحُسْنِ اسْتِغْلَالِهِ.


الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك
الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك
الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك

الْعَمَـلُ

أُعْجِبَ «عُمَرُ» بِالْحَقِيبَةِ الْمَدْرَسِـيَّةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي رَآهَا فِي يَدِ صَدِيقِهِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، فَقَالَ لَهُ:

- كَمْ هِيَ رَائِعَةٌ حَقِيبَتُكَ الْجَدِيدَةُ يَا «عَلَاءُ»، بِكَمِ اشْتَرَى وَالِدَاكَ هَذِهِ الْحَقِيبَةَ؟

رَدَّ «عَلَاءٌ» قَائِلًا:

- لَقَدِ اشْتَرَيْتُهَا أَنَا مِنْ مَالِي الْخَاصِّ.

وَفِي تَعَجُّبٍ تَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- مِنْ مَالِكَ الْخَاصِّ!! وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا الْمَالِ الْخَاصِّ؟!

أَجَابَ «عَلَاءٌ»:

- إِنَّنِي يَا «عُمَرُ» أَعْمَلُ فِي الْإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ فِي مَكْتَبَةِ وَالِدِي الَّتِي تَقَعُ فِي الشَّارِعِ الرَّئِيسِـيِّ، فَأَقُومُ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ إِمْكَانِيَّاتٍ بَسِـيطَةً وَمُنَاسِـبَةً، وَأَدَّخِرُ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِ تَوْفِيرٍ خَاصٍّ بِي؛ لِأَسْتَطِيعَ شِرَاءَ مَا أُرِيدُ.

وَعِنْدَمَا عَادَ «عُمَرُ» إِلَى بَيْتِهِ، حَكَى هَذَا الْمَوْقِفَ لِلْعَائِلَةِ.

فَقَالَتِ الْجَدَّةُ:

- لَقَدْ أَحْسَنَ صَدِيقُكَ «عَلَاءُ الدِّينِ» اسْتِغْلَالَ وَقْتِ فَرَاغِهِ فِي الْإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي تِلْكَ السِّـنِّ الصَّغِيرَةِ، يُعَلِّمُهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْخِبْرَاتِ الْمُهِمَّةِ مِثْلَ: الِاعْتِمَادِ عَلَى الذَّاتِ، وَالِالْتِزَامِ، وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ، وَتَحَمُّلِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْآخَرِينَ.

وَأَكْمَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ:

- الْعَمَلُ يَا بُنَيَّ هُوَ الْحَيَاةُ، فَهُوَ الَّذِي أَقَامَ الْبُيُوتَ وَالْمَصَانِعَ، وَشَقَّ الطُّرُقَ وَأَحَالَ الصَّحَارِيَ الْقَاحِلَةَ إِلَى مُدُنٍ آهِلَةٍ بِالسُّـكَّانِ، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ وَسَائِلَ الِانْتِقَالِ الْبَرِّيَّـةِ وَالْجَوِّيَّـةِ وَالْبَحْرِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ وَسَـائِلَ الِاتِّصَـالِ مِنْ هَوَاتِفَ

وَتِلِيفِزْيُونٍ وَحَاسِبٍ آلِيٍّ وَإِنْتَرْنِت، وَهُوَ الَّذِي يُوَفِّرُ كُلَّ يَوْمٍ لِمَلَايِينِ النَّاسِ مَأْكَلَهُمْ وَمَشْرَبَهُمْ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ، وَفِي عَمَلِهِمْ وَلَهْوِهِمْ.

وَالْعَمَلُ هُوَ الَّذِي سَنُحَاسَبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّوْبَة: 105].

وَتَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَا مَعْنَى الْعَمَلِ؟



أَجَابَتِ الجدة قَائِلَةً:

- الْعَمَلُ يَا بُنَيَّتِي هُوَ قِيَامُ الْفَرْدِ بِمَجْهُودٍ سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الْمَجْهُودُ عَضَلِيًّا أَوْ ذِهْنِيًّا أَوْ كِلَيْهِمَا مَعًا. وَيَكُونُ هَذَا الْمَجْهُودُ الْمَبْذُولُ بِقَدْرِ الدَّافِعِ وَالْحَافِزِ الَّذِي يَجْعَلُ الْفَرْدَ مُقْبِلًا عَلَى هَذَا الْعَمَلِ.

لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَعْمَلَ، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ لِحَيَاتِهِ الدُّنْيَا، أَمْ لِلْآخِرَةِ، يَقُولُ السَّلَفُ الصَّالِحُ: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا»، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾ [الْقَصَص: 77].

وَوَاصَلَ الْجَدُّ حَدِيثَهُ عَنِ الْعَمَلِ فَقَالَ:

- وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَهَذَا دَاوُدُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَعْمَلُ حَدَّادًا رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ مَلِكًا عَلَى قَوْمِهِ، وَزَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَعْمَلُ نَجَّارًا، وَنَبِيُّنَا الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ عَمِلَ فِي صِبَاهُ بِالرَّعْيِ، وَفِي شَبَابِهِ بِالتِّجَارَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ». وَهُنَاكَ عَشَرَاتُ الْآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَرْبِطُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ [التِّين: 6].

أَحْفَادِي الْأَعِزَّاءَ تَتَطَوَّرُ حَيَاتُنَا وَتَتَقَدَّمُ، فَالْمُزَارِعُ فِي حَقْلِهِ، وَالْعَامِلُ فِي مَصْنَعِهِ، وَالْبَاحِثُ فِي مَعْمَلِهِ، وَالتَّاجِرُ فِي مَتْجَرِهِ، وَالطَّالِبُ فِي مَدْرَسَتِهِ، وَالْمُوَظَّفُ فِي وَظِيفَتِهِ، وَالْجُنْدِيُّ فِي جَيْشِهِ، وَالْمُعَلِّمُ فِي مَعْهَدِهِ، وَالْأُسْتَاذُ فِي جَامِعَتِهِ، وَالطَّبِيبُ فِي مُسْتَشْفَاهُ، الْكُلُّ يَعْمَلُ وَيَكِدُّ لِيَتَقَدَّمَ الْمُجْتَمَعُ وَيَنْمُوَ، أَمَّا الْمُجْتَمَعُ الَّذِي يَتَقَاعَسُ أَفْرَادُهُ عَنِ الْعَمَلِ وَيَتَكَاسَلُونَ، فَإِنَّهُ يُصْبِحُ مُجْتَمَعًا مُتَخَلِّفًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْحَقَ بِرَكْبِ الْحَضَارَةِ، وَيَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ الدَّمَارَ وَالْفَنَاءَ.

وَأَكَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» عَزْمَهُمَا عَلَى أَنْ يَعْمَلَا دَائِمًا بِكُلِّ جِدٍّ وَنَشَاطٍ.



التَّكَافُلُ

بَعْدَ أَدَاءِ الْجَدِّ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَمَعَهُ حَفِيدُهُ «عُمَرُ»، وَفِي أَثْنَاءِ خُرُوجِهِمَا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَزَّعَ عَلَيْهِمَا شَابٌّ مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ وَرَقَةً تَحْمِلُ إِعْلَانًا يَدْعُو إِلَى التَّبَرُّعِ لِإِحْدَى دُورِ الْأَيْتَامِ، وَالَّتِي تُوجَدُ فِي الْحَيِّ نَفْسِهِ الَّذِي يَعِيشَانِ فِيهِ.

وَعِنْدَ عَوْدَتِهِمَا لِلْمَنْزِلِ، رَأَتْ «مَرْيَمُ» الْإِعْلَانَ فِي يَدِ جَدِّهَا، فَقَالَتْ مُتَسَائِلَةً:

- مَا هَذِهِ الْوَرَقَةُ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

رَدَّ الْجَدُّ:

- إِنَّهُ إِعْلَانٌ يَحُثُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَيِّ عَلَى التَّبَرُّعِ لِإِحْدَى دُورِ الْأَيْتَامِ؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْمَسْؤُولُ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ تَوْفِيرَ الِاحْتِيَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ اللَّازِمَةِ لِهَؤُلَاءِ الْأَيْتَامِ، إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ التَّكَافُلِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ.

وَوَاصَلَتْ «مَرْيَمُ» التَّسَاؤُلَ، فَقَالَتْ:

- وَمَا مَعْنَى هَذَا التَّكَافُلِ يَا جَدِّي؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- التَّكَافُلُ يَا بُنَيَّتِي يَتَضَمَّنُ التَّعَاوُنَ وَالرَّحْمَةَ وَالتَّعَاطُفَ، فَهُوَ يَعْنِي أَنْ يُعْطِيَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ، وَأَنْ يُعَاوِنَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، وَأَنْ يُسَاعِدَ الْقَادِرُ الْمَحْرُومَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [الْمَائِدَة: 2]. وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ عَنِ التَّكَافُلِ، فَقَالَتْ:

- يُعَدُّ التَّكَافُلُ مِنْ أَهَمِّ الْأُسُسِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْمُجْتَمَعُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالَّتِي تَتَضَمَّنُ سَعَادَةَ هَذَا الْمُجْتَمَعِ وَبَقَاءَهُ فِي إِطَارٍ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالْأَمْنِ وَالْوَحْدَةِ وَالسَّلَامِ. فَعَلَى كُلِّ فَرْدٍ قَادِرٍ أَنْ يُعِينَ أَخَاهُ الْمُحْتَاجَ؛ حَتَّى يَضْمَنَ لَهُ الْمُسْتَوَى الْمُنَاسِبَ مِنَ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ، وَذَلِكَ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ بِدُونِ تَفْرِقَةٍ.

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- أَحْيَانًا أَجِدُ شَخْصًا فَقِيرًا وَمُعْدَمًا، فَيَرِقُّ قَلْبِي لَهُ وَأَشْعُرُ بِالشَّفَقَةِ نَحْوَهُ وَالتَّعَاطُفِ مَعَهُ، فَهَلْ هَذَا الشُّعُورُ مِنَ التَّكَافُلِ؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- وَإِنْ كَانَ هَذَا الشُّعُورُ وَالْإِحْسَاسُ جُزْءًا مِنَ التَّكَافُلِ، لَكِنَّهُ تَكَافُلٌ سَلْبِيٌّ، فَالتَّكَافُلُ يَا بُنَيَّ يَجِبُ أَنْ يُصَاحِبَهُ الْفِعْلُ الْإِيجَابِيُّ وَالْمُسَاعَدَةُ الْفِعْلِيَّةُ. وَلِذَا فَإِنَّ التَّكَافُلَ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٍ مَادِيٍّ وَقِسْمٍ مَعْنَوِيٍّ، فَالْقِسْمُ الْمَادِّيُّ هُوَ الْمُسَاعَدَةُ الْمَادِّيَّةُ بِالْأَمْوَالِ؛ كَيْ يُنْقَلَ الْمُحْتَاجُ مِنْ حَالَةِ الْفَقْرِ إِلَى «حَدِّ الْكِفَايَةِ» أَوْ «حَدِّ الْغِنَى»، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:



«إِذَا أَعْطَيْتُمْ فَأَغْنُوا»، وَكَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ»، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذَّارِيَات: 19]. أَمَّا التَّكَافُلُ الْمَعْنَوِيُّ فَيَأْتِي فِي صُوَرٍ أُخْرَى عَدِيدَةٍ مِثْلَ: النَّصِيحَةِ، وَالصَّدَاقَةِ، وَالْوُدِّ، وَالتَّعْلِيمِ، وَالْمُوَاسَاةِ فِي الْأَحْزَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالِ الْعَطَاءِ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَمَنِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَتَكَافَلَ مَعَهُ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- سُؤَالٌ جَيِّدٌ يَا «مَرْيَمُ»، أَوَّلًا: التَّكَافُلُ مَعَ الذَّاتِ، فَالْإِنْسَانُ مَسْؤُولٌ عَنْ نَفْسِهِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهَا وَيُهَذِّبَهَا وَيَدْفَعَهَا إِلَى الْخَيْرِ وَيُبْعِدَهَا عَنِ الشَّرِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشَّمْس: 7ـ10].

ثَانِيًا: التَّكَافُلُ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ، وَالَّذِي يَبْدَأُ بِالزَّوْجَيْنِ وَتَحَمُّلِ الْمَسْؤُولِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمَا فِي الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِ الْأُسْرَةِ مِنْ تَرْبِيَةٍ لِلْأَبْنَاءِ وَتَوْفِيرِ مُتَطَلَّبَاتِهَا، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى هَذِهِ الْأُسْرَةِ. يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

ثَالِثًا: التَّكَافُلُ دَاخِلَ الْجَمَاعَةِ وَالَّذِي يَجْعَلُ أَفْرَادَ الْمُجْتَمَعِ فِي تَمَاسُكٍ وَتَرَاحُمٍ وَتَحَابٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [الْمَائِدَة: 2].

رَابِعًا: التَّكَافُلُ مَعَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتَقْدِيمِ مَا يُمْكِنُ تَقْدِيمُهُ مَادِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيَّةِ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ».

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِتِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي اكْتَسَبَاهَا عَنْ قِيمَةِ «التَّكَافُلِ».



التَّفَاؤُلُ

فِي سَعَادَةٍ وَابْتِسَامٍ حَكَتِ الْحَفِيدَةُ «مَرْيَمُ» لِجَدَّتِهَا كَيْفَ أَنَّ الْمُعَلِّمَةَ «فَرِيدَةَ» مُعَلِّمَةَ مَادَّةِ التَّدْبِيرِ الْمَنْزِلِيِّ أَخْبَرَتْهُمْ بِأَنَّ الْمَدْرَسَةَ فَازَتْ بِالْمَرْكَزِ الْأَوَّلِ عَلَى جَمِيعِ مَدَارِسِ إِدَارَةِ التَّعْلِيمِ فِي مَعْرِضِ التَّدْبِيرِ الْمَنْزِلِيِّ الَّذِي أَقَامَتْهُ مُدِيرِيَّةُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ هَذَا الْعَامَ.

وَأَكْمَلَتْ «مَرْيَمُ» حَدِيثَهَا لِجَدَّتِهَا، فَقَالَتْ:

- كَمْ أُحِبُّ الْمُعَلِّمَةَ «فَرِيدَةَ» يَا جَدَّتِي، فَهِيَ دَائِمَةُ الِابْتِسَامِ، وَفِي مُعْظَمِ الْأَحْوَالِ تَأْتِي بِالْأَخْبَارِ السَّارَّةِ الْمُفْرِحَةِ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- إِنَّهَا تَمْتَلِكُ قِيمَةً دِينِيَّةً مُهِمَّةً يَا بُنَيَّتِي، أَلَا وَهِيَ قِيمَةُ «التَّفَاؤُلِ».

وتَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- وَمَا مَعْنَى التَّفَاؤُلِ يَا جَدَّتِي؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- يُقْصَدُ بِالتَّفَاؤُلِ يَا «عُمَرُ» الصِّفَاتُ الَّتِي تَسْتَدْعِي الِاسْتِئْنَاسَ وَالِارْتِيَاحَ وَالتَّحَبُّبَ، وَبَثَّ الْأَمَلِ فِي الْقُلُوبِ، وَالْبُعْدَ عَنْ أَسَالِيبِ التَّنْفِيرِ وَالتَّخْوِيفِ.

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا».

وَلَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَبْشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَيْرِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا:

★ ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الْبَقَرَة: 25].

★ وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يُونُس: 2].

★ ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الْأَحْزَاب: 47].

وَوَاصَلَ الْجَدُّ حَدِيثَهُ عَنِ الْبِشْرِ وَالتَّفَاؤُلِ، فَقَالَ:

- لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَشِيرًا لِأَتْبَاعِهِ، نَذِيرًا لِأَعْدَائِهِ، بَلْ كَانَتْ هَذِهِ مُهِمَّةَ كُلِّ الرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الْأَنْعَام: 48].

وَمِنْ حِكْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ أَسَالِيبَ التَّبْشِيرِ فِي إِيقَاظِ الْهِمَمِ، وَتَنْشِيطِهَا لِلطَّاعَةِ، فَقَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ



التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَصَلَّى صَلَاةَ الْعِشَاءِ مَرَّةً بِأَصْحَابِهِ وَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفُوا قَالَ لَهُمْ: «عَلَى رِسْلِكُمْ، أَبْشِرُوا، إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ»، قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: «فَرَجَعْنَا فَرِحِينَ بِمَا سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَالْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ فِي حَالِ الْبَلَاءِ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ هَمَّهُ، وَيُبَشِّرُهُ بِمَا يَسُرُّهُ، إِمَّا بِفَرَجٍ عَاجِلٍ، أَوْ بِأَجْرٍ آجِلٍ، فَعِنْدَمَا مَرَّ الرَّسُولُ ﷺ بِامْرَأَةٍ تُدْعَى «أُمَّ الْعَلَاءِ» فَوَجَدَهَا مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهَا: «أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

إِنَّ أَسَاسَ قِيمَةِ الْبِشْرِ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِلْفَأْلِ الْحَسَنِ، وَالْأَمَلِ الْوَاسِعِ، وَالْعَاقِبَةِ الْخَيِّرَةِ، فَيُشِيعَ فِي إِخْوَانِهِ الْبُشْرَى، وَيَنْشُرَ فِيهِمُ التَّفَاؤُلَ وَيُحْيِيَ فِيهِمُ الْأَمَلَ، وَيَسْتَنْهِضَ لَدَيْهِمُ الْهِمَمَ لِمَزِيدٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ بِأَنَّ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..﴾ [يُونُس: 64].

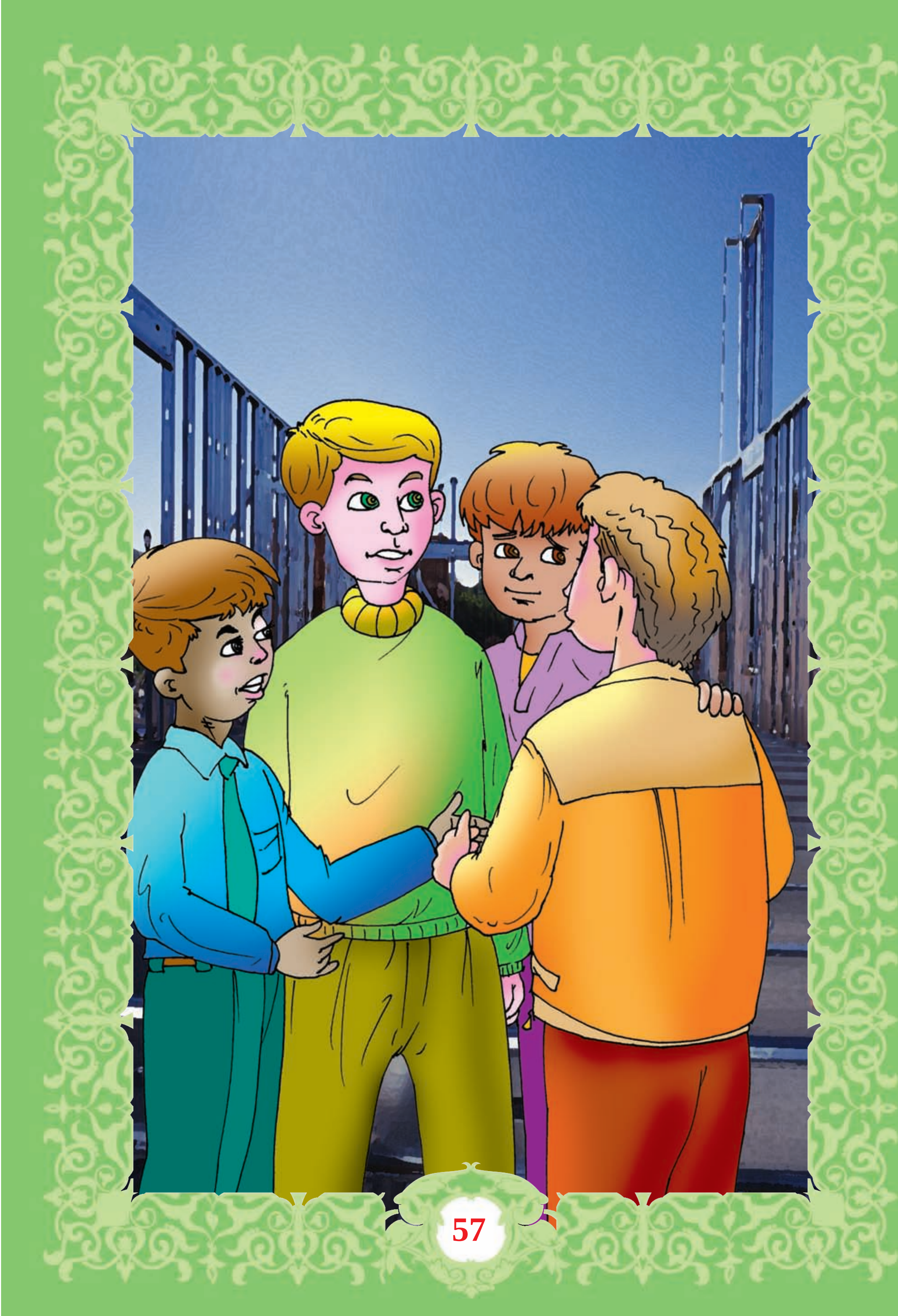
قَالَتْ «مَرْيَمُ» مُتَسَائِلَةً:

- مَاذَا عَنِ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ وَمَاذَا عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ؟

رَدَّ الْجَدُّ:

- الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ يَلْقَى الْمُسْلِمُ قَبُولًا حَسَنًا مِنْ إِخْوَانِهِ، وَأَنْ نَشْكُرَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ فِي الْعَمَلِ، أَمَّا الْبُشْرَى فِي الْآخِرَةِ فَتَكُونُ بِدُخُولِ الْمُسْلِمِ الْجَنَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿.. بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الْحَدِيد: 12].

وَأَكَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» عَلَى أَنَّهُمَا سَيَكُونَانِ دَائِمًا مَصْدَرًا لِلْبِشْرِ وَإِشَاعَةِ التَّفَاؤُلِ، وَسَيَبْتَعِدَانِ تَمَامًا عَنِ التَّنْفِيرِ وَالتَّخْوِيفِ.



السَّــلَامُ

دُهِشَــتِ الْجَدَّةُ عِنْدَمَا سَــمِعَتْ حَفِيدَتَهَا «مَرْيَمَ» تَشْــدُو وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا بِنَشِيدٍ مَدْرَسِيٍّ مُمَيَّزٍ، فَنَادَتْهَا، وَعِنْدَمَا أَقْبَلَتِ الْحَفِيدَةُ سَأَلَتْهَا:

- مَاذَا كُنْتِ تُنْشِدِينَ يَا «مَرْيَمُ» الْآنَ؟

أَجَابَتِ الْحَفِيدَةُ بِابْتِسَامَةٍ:

- إِنَّهَا أُنْشُودَةٌ جَمِيلَةٌ تَعَلَّمْنَاهَا فِي الْمَدْرَسَةِ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- هَيَّا أَنْشِدِيهَا مَرَّةً أُخْرَى.

ابْتَسَمَتْ «مَرْيَمُ»، وَقَالَتْ لِجَدَّتِهَا:

- عَلَى الرُّحْبِ وَالسَّــعَةِ يَا جَدَّتِــي الْحَبِيبَةَ، ثُمَّ أَخَذَتْ تُنْشِــدُ بِصَوْتِهَا الْعَذْبِ الرَّقِيقِ:

هَـلْ تَعْلَمُــونَ تَحِيَّتِي عِنْدَ الْقُــدُومِ إِلَيْكُمُو

أَنَـا إِنْ رَأَيْـتُ جَمَاعَةً قُـلْتُ السَّلَامُ عَـلَيْـكُـمْ

وَفِي سَعَادَةٍ وَدَهْشَةٍ قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- هَذِهِ الْأُنْشُــودَةُ جَمِيلَةٌ تَحُثُّ الْإِنْسَانَ عَلَى إِلْقَاءِ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ عِنْدَ مُقَابَلَةِ الْآخَرِينَ.

وَتَدَخَّلَ الْجَدُّ فِي الْحَدِيثِ فَقَالَ:

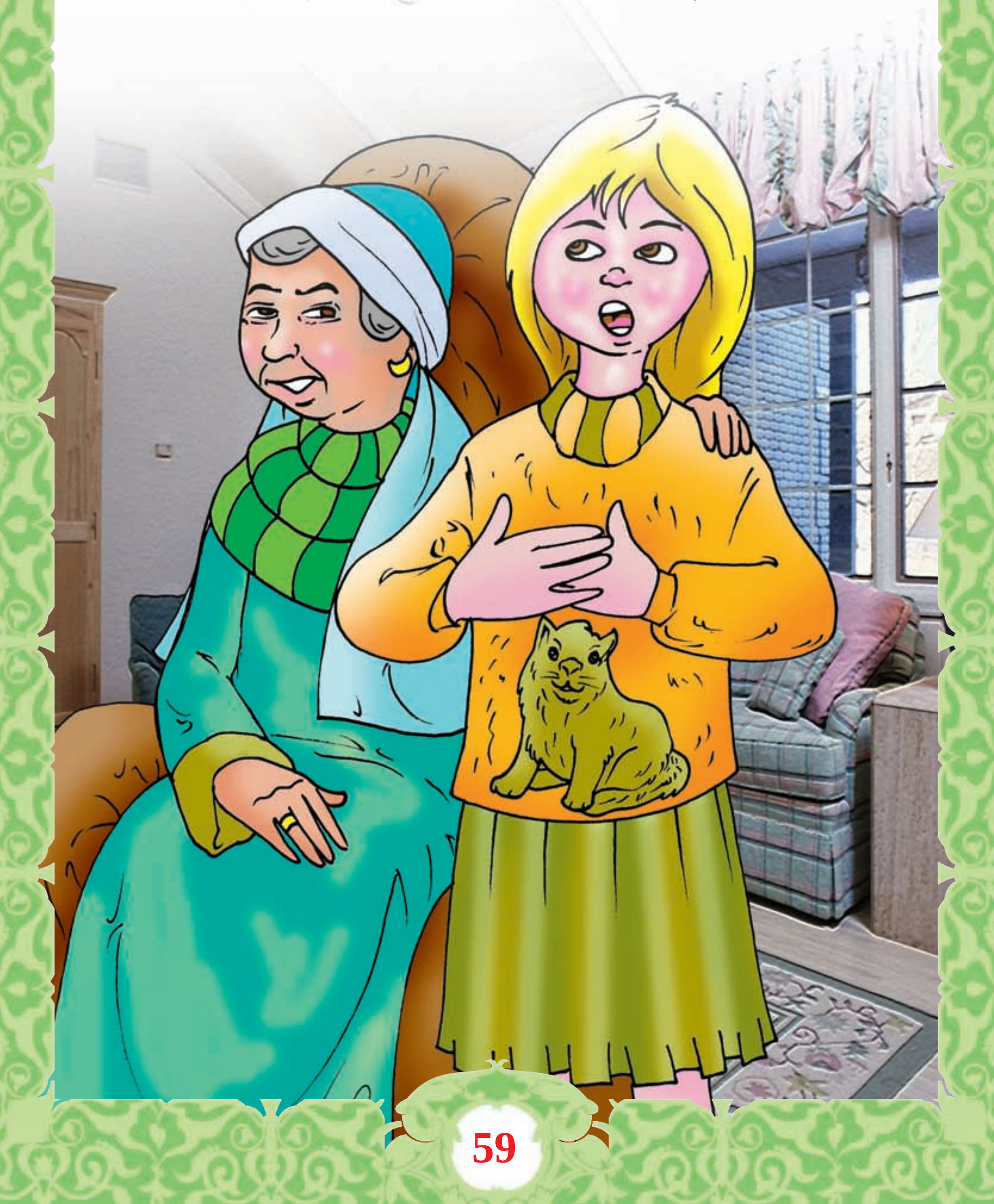
- إِنَّ لِلسَّلَامِ وَإِفْشَائِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَضْلًا كَبِيرًا وَقِيمَةً عَظِيمَةً أَمَرَنَا بِهَا دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُــوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النُّور: 27]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النُّور: 11].

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ - عَلَيْهِ السَّــلَامُ - قَالَ: اذْهَبْ

فَسَــلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ - نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ - فَاسْــتَمِعْ لِمَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ: السَّــلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّــلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ».

قَالَ «عُمَرُ»:

- أَحْيَانًا عِنْدَمَا أُقَابِلُ صَدِيقًا لِي أَقُولُ لَهُ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ»، أَوْ «كَيْفَ حَالُكَ؟».



قَالَ الْجَدُّ:

- لَا يَا وَلَدِي، هَذِهِ الْكَلِمَاتُ لَا تَكْفِي بَدَلًا عَنْ عِبَارَةِ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ»، فَمَنْ قَالَهَا فَلَهُ أَجْرُ عَشْرِ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ رَدَّ بِقَوْلِهِ: «وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» فَلَهُ أَجْرُ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً.

وَوَاصَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ عَنْ إِفْشَاءِ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَتْ:

- إِنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ يَا بُنَيَّ هُوَ مِفْتَاحُ الْقُلُوبِ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُفْتَحَ لَكَ قُلُوبُ الْعِبَادِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ إِذَا لَقِيتَهُمْ، وَابْتَسِمْ فِي وُجُوهِهِمْ، وَكُنْ سَبَّاقًا لِهَذَا الْخَيْرِ يَزْرَعِ اللَّهُ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَيُيَسِّرْ لَكَ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «ثَلَاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وُدَّ أَخِيكَ: أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ، وَتُوَسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ».

وَيَكْفِي أَنَّ السَّلَامَ هُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأَحْزَاب: 44]؛ فَحَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَمَا جَزَاءُ مَنْ يُفْشِي السَّلَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- جَزَاؤُهُ يَا بُنَيَّتِي مَا يَلِي:

★ الْفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَرِضَا رَسُولِهِ ﷺ.

★ تَحِلُّ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ.

★ إِفْشَاءُ السَّلَامِ سَبَبُ عُلُوِّ الْمُسْلِمِ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

★ الْفَوْزُ بِمَحَبَّةِ النَّاسِ.

وَأَكَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» عَلَى أَنَّهُمَا سَيَحْرِصَانِ طَوَالَ حَيَاتِهِمَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِقِيمَةِ «إِفْشَاءِ السَّلَامِ».



التَّوْبَـــةُ

شَـــاهَدَتِ الْعَائِلَةُ فِي التِّلِيفِزْيُونِ عَمَلًا دِرَامِيًّا يُوَضِّحُ أَنَّ شَابًّا ارْتَكَبَ فِي حَيَاتِهِ كَثِيرًا مِنَ الْآثَامِ وَالْأَعْمَالِ السَّـــيِّئَةِ، فَكَانَ يَغُشُّ هَـذَا، وَيَخْدَعُ ذَاكَ، وَيَحْتَالُ عَلَى النَّـــاسِ وَيَكْذِبُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ شَـــيْطَانُهُ يُصَوِّرُ لَهُ أَعْمَالَهُ عَـلَى أَنَّهَا ذَكَاءٌ وَفِطْنَةٌ وَمَهَارَةٌ مَشْرُوعَةٌ، أَمَّا عَنْ عَلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَكَانَتْ مَقْطُوعَةً تَمَامًا، فَهُوَ لَا يُؤَدِّي أَيَّةَ فَرِيضَةٍ مِنَ الْفَرَائِضِ مِنْ صَلَاةٍ، أَوْ صَوْمٍ، أَوْ زَكَاةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَفَجْأَةً وَقَعَ لِلشَّـــابِّ حَادِثٌ مُـرُورِيٌّ كَادَ يُقْضَـــى عَلَيْهِ فِيهِ، وَنُقِـلَ إِلَى أَحَدِ الْمُسْتَشْـفَيَاتِ وَهُوَ فِي غَيْبُوبَـــةٍ تَامَّةٍ، وَأُجْرِيَتْ لَهُ عِدَّةُ عَمَلِيَّـــاتٍ جِرَاحِيَّةٍ. وَلَمَّا أَفَاقَ الشَّابُّ مِنْ غَيْبُوبَتِهِ وَجَدَ نَفْسَهُ أَقْرَبَ لِلْمَوْتِ مِنْهُ لِلْحَيَاةِ، فَنَظَرَ إِلَى مَاضِيهِ فَوَجَدَهُ مَلِيئًا بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الْمُخْزِيَةِ، وَتَذَكَّرَ مَنْ آذَاهُمْ وَظَلَمَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَوَجَدَ أَنَّهُمْ كُثُرٌ لَا يَسْـــتَطِيعُ إِحْصَاءَهُمْ، فَأَخَذَ يَبْكِي بِشِـــدَّةٍ نَدَمًا وَحَسْرَةً عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُشِـــينَةِ، وَتَسَاءَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: كَيْفَ سَيَلْقَى رَبَّهُ وَذُنُوبُهُ كَأَنَّهَا الْجِبَالُ؟!

وَعِنْدَمَا كَانَ فِي زِيَارَةٍ لِأَحَدِ الْعُلَمَاءِ، اعْتَرَفَ لَهُ بِكُلِّ أَعْمَالِهِ السَّـــيِّئَةِ، وَسَـــأَلَهُ: أَبَعْدَ كُلِّ هَذَا يُمْكِــنُ أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَتَهُ؟ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَــلُ تَوْبَتَكَ وَيَغْفِرُ لَكَ كُلَّ ذُنُوبِكَ إِذَا كُنْتَ صَـــادِقَ التَّوْبَةِ، فَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53].

وَصَدَقَ الشَّـــابُّ فِي تَوْبَتِهِ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ التَّالِيَةُ كُلُّهَا فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ شُـــفِيَ الشَّـــابُّ تَمَامًا مِنْ إِصَابَاتِهِ، وَعَـــادَ إِلَى الْحَيَاةِ بِصُورَةٍ جَدِيدَةٍ تَمَامًا، فَـــأَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضَ، وَعَامَلَ النَّاسَ أَفْضَلَ مُعَامَلَةٍ، وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، فَكَانَ مِثَالًا لِلْمُؤْمِنِ الْحَقِّ فِي أَقْوَالِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ.

قَالَ «عُمَرُ»:

- مَا أَجْمَلَ التَّوْبَةَ، وَالرُّجُوعَ إِلَى اللَّهِ، وَالسَّيْرَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ!

وَتَحَدَّثَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- حَدِّثْنَا عَنِ التَّوْبَةِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ.

قَالَ الْجَدُّ:

- حَسَنًا يَا بُنَيَّتِي.. إِنَّ التَّوْبَةَ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى «التَّوَّابُ» وَ«الْغَفَّارُ» وَ«الْغَفُورُ»، وَهُنَاكَ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةٌ



تُسَمَّى «التَّوْبَةَ»، وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ نَتُوبَ دَائِمًا؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيم: 8]، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:82]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ عَنِ التَّوْبَةِ، فَقَالَتْ:

- التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ، وَإِذَا أَرَادَ هَذَا الْمُسْلِمُ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ الصَّادِقَةَ وَالَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ (أَيْ قُبَيْلَ بُلُوغِ الرُّوحِ الْحُلْقُومَ)، فَإِنَّ لَهَا شُرُوطًا، مِنْ أَهَمِّهَا مَا يَلِي:

★ الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ - أَيْ تَرْكُهَا - فَوْرًا.

★ الْعَزْمُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ لِمِثْلِهَا، وَهَذَا الْعَزْمُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَبِالْفِعْلِ.

★ النَّدَمُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ مَعْصِيَةٍ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ».

★ إِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ قَدْ أَدَّتْ إِلَى ظُلْمِ إِنْسَانٍ، فَلَا بُدَّ مِنِ اسْتِرْضَاءِ الْمَظْلُومِ، وَرَدِّ مَظْلَمَتِهِ، فَمَثَلًا إِذَا أَخَذَ مِنْهُ مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيَجِبُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ هَذَا الْمَالَ.

وَوَاصَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- التَّوْبَةُ لَا تَكُونُ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ مَعْصِيَةٍ ارْتُكِبَتْ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُلَازِمَةً لِلْمُسْلِمِ الْحَقِّ الَّذِي يَسْعَى دَائِمًا لِتَطْهِيرِ نَفْسِهِ، وَتَحْسِينِ أَدَاءِ أَعْمَالِهِ لِتَكُونَ مُتْقَنَةً، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: 31] وَقَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ».

فَمَا أَعْظَمَ التَّوْبَةَ! وَمَا أَسْعَدَ التَّائِبِينَ! فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ فَاسِقِينَ فَاسِدِينَ، بِالتَّوْبَةِ صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الْمُقَرَّبِينَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِهِ تَعَالَى.

وَصَمَّمَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» عَلَى أَنْ يَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَأَلَّا يَغْفُلَا عَنْ قِيمَةِ «التَّوْبَةِ» أَبَدًا.


Vo
with AL

التَّوَكُّلُ عَلَى اللّهِ

حَكَى «عُمَرُ» لِعَائِلَتِهِ عَمَّا تَعَلَّمَهُ فِي أَحَدِ دُرُوسِ التَّرْبِيَةِ الدِّينِيَّةِ، فَقَالَ:

- فِي قِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا قَذَفَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي النَّارِ رُوِيَ أَنَّهُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ النَّبِيُّ: «أَمَّا لَكَ فَلَا، وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فَكَانَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ بِمَقْدُورِهِ أَنْ يُطْفِئَ النَّارَ بِطَرَفِ جَنَاحِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَلَّقَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ، إِنَّمَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِخَالِقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَقَالَ الْجَدُّ:

- إِنَّهُ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ يَا بُنَيَّ، وَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ حَقًّا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الْمَائِدَة: 23]. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا...﴾ [الْمُلْك: 29].

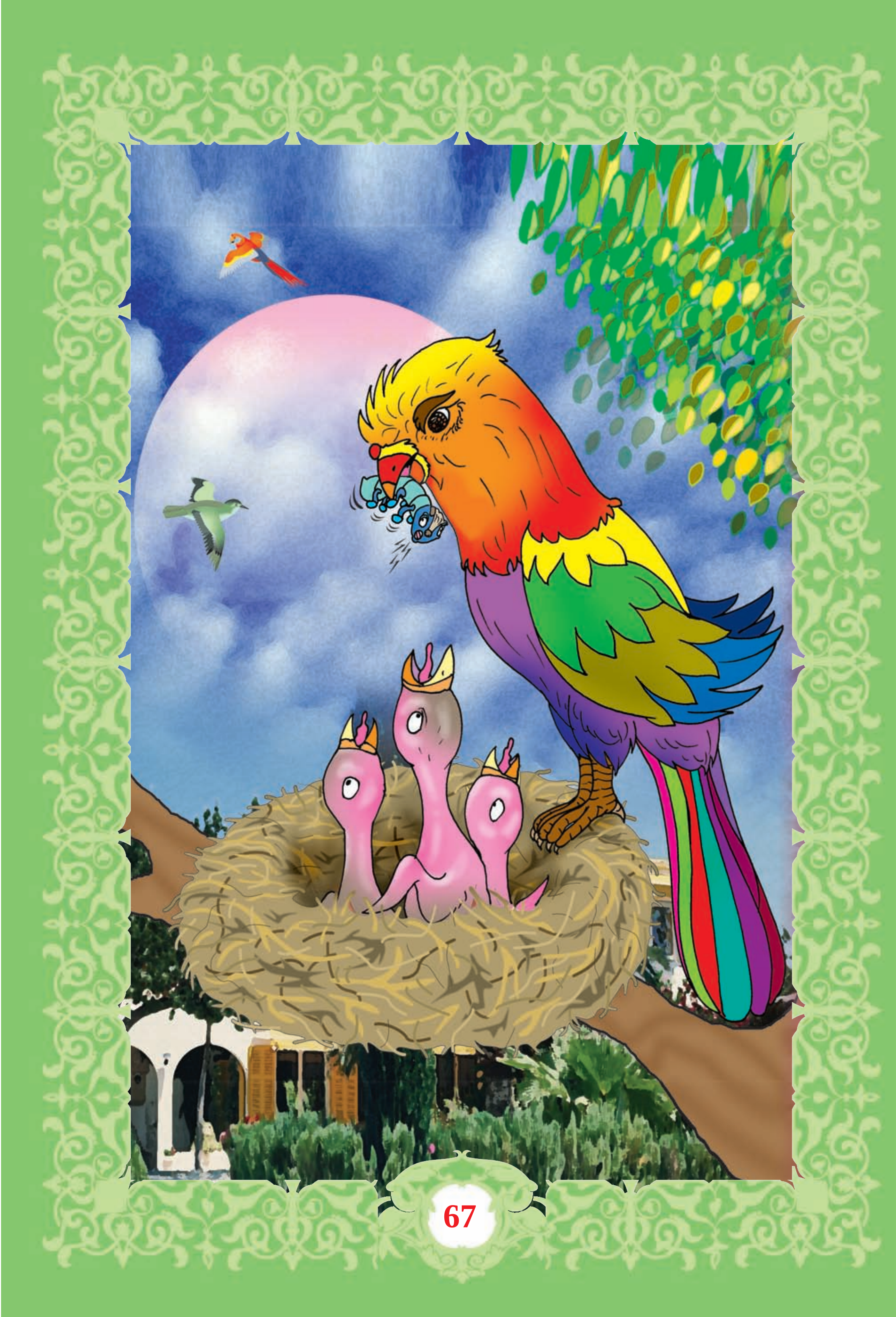
تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَا مَعْنَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- مَعْنَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ يَا بُنَيَّتِي هُوَ اعْتِمَادُ الْمُسْلِمِ الْحَقِّ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا سَأَلَ حَاجَةً فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَإِنِ اسْتَعَانَ فَلْيَسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يُسَلِّمَ مَقَالِيدَ أَمْرِهِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فَالطُّيُورُ تَذْهَبُ جَائِعَةً لَا تَدْرِي مِنْ أَيْنَ سَتَأْكُلُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَالِقَهَا يَرْزُقُهَا مِنْ رِزْقِهِ، فَتَأْكُلُ حَتَّى تَشْبَعَ وَتَعُودَ إِلَى أَعْشَاشِهَا مُمْتَلِئَةَ الْبُطُونِ.

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ:



- إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ يَا أَحْفَادِي جَعَلَ النَّارَ الْحَارِقَةَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَجَعَلَ الْبَحْرَ الَّذِي هُوَ مَكْمَنُ الْغَرَقِ وَالْمَوْتِ سَبَبًا لِنَجَاةِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَوْمِهِ، وَهُوَ الَّذِي نَجَا بِسَبَبِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَ الْهِجْرَةِ وَهُمَا فِي الْغَارِ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، إِذْ قَالَ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَوْ نَظَرَ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَرَآنَا»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَالُكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟ لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، وَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ [التَّوْبَة: 40].

وَيُحْكَى أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فَرَأَى غُلَامًا يُطِيلُ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ: «ابْنُ مَنِ الْغُلَامُ؟» فَقَالَ الْغُلَامُ: «أَنَا يَتِيمُ الْأَبَوَيْنِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: «أَمَا تَتَّخِذُنِي أَبًا لَكَ؟»، فَقَالَ الْغُلَامُ: «وَهَلْ إِنْ مَرِضْتُ تَشْفِينِي؟» قَالَ: «هَذَا لَيْسَ إِلَيَّ»، قَالَ: «وَهَلْ إِنْ مِتُّ تُحْيِينِي؟»، قَالَ: «هَذَا لَيْسَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ»، فَقَالَ الْغُلَامُ: «فَذَرْنِي لِلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». فَقَالَ الرَّجُلُ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ». وَهَكَذَا فَإِنَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ.

قَالَ «عُمَرُ»:

- هَلْ مَعْنَى هَذَا أَلَّا أَسْتَذْكِرَ دُرُوسِي، وَأَدْخُلَ الِامْتِحَانَ وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ لِكَيْ أَنْجَحَ؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- لَا يَا «عُمَرُ».. فَهَذَا الَّذِي تَقُولُهُ تَوَاكُلٌ يَرْفُضُهُ دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ، أَمَّا التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ فَيَكُونُ مَعَهُ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ، فَتَبْذُلُ كُلَّ الْجُهْدِ فِي اسْتِذْكَارِ دُرُوسِكَ، ثُمَّ بَعْدَهَا تَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُعِينَكَ عَلَى النَّجَاحِ فِي الِامْتِحَانِ. فَعَلَى الْمُسْلِمِ الْحَقِّ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ

مَعَ أَخْذِهِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَى النَّجَاحِ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ. فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ يَا أَحْفَادِي بِرَبِّكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ تُفْلِحُوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمْرَان: 159].

وَتَعَاهَدَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» عَلَى أَنْ يَتَوَكَّلَا عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، وَلَا يَسْتَعِينَا بِأَحَدٍ سِوَاهُ.



الدُّعَــاءُ

لَاحَظَــتْ «مَرْيَمُ» أَنَّ جَدَّتَهَا تَرْفَعُ يَدَهَا بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ تَدْعُو رَبَّهَا، وَتَرْجُو مِنْهُ مَا تَتَمَنَّى، فَسَأَلَتِ الْحَفِيدَةُ قَائِلَةً:

- جَدَّتِي الْحَبِيبَةَ، أُلَاحِظُ أَنَّكِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ تَرْفَعِينَ يَدَيْكِ طَوِيلًا، فَمَا سَـبَبُ ذَلِكَ؟

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ وَقَالَتْ:

- إِنَّهُ الدُّعَاءُ يَا بُنَيَّتِي، الدُّعَاءُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَةً وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ، فَالْمُؤْمِنُ مَوْعُودٌ مِنْ رَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالْإِجَابَةِ إِنْ هُوَ دَعَا خَالِقَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

فَالدُّعَاءُ هُوَ طَلَبٌ وَنِدَاءٌ مِنَ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ لِرَبِّهِ -سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الَّذِي لَا يَسْــتَعْصِي عَلَيْهِ أَمْرٌ فِي هَذَا الْكَوْنِ، فَإِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ شَيْئًا وَعَجَزَ عَنْ تَحْقِيقِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ لِيُعِينَهُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الشَّيْءِ.

وَأَكْمَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ عَنِ الدُّعَاءِ، فَقَالَ:

- حَقِيقَــةُ الدُّعَاءِ هِيَ إِظْهَارُ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِعْلَانُ أَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَاسْتِشْــعَارُ الذِّلَّةِ وَالضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ، كَمَا أَنَّ فِيهِ مَعْنَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّــهِ وَاعْتِرَافَ الْعَبْدِ بِجُــودِهِ وَكَرَمِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَــأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْــتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [الْبَقَرَة: 186].

وَقَــالَ النَّبِيُّ الْكَرِيــمُ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْــوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَهَا، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَنْ نُكْثِرُ. قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ». وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُحِبُّ سَمَاعَ أَصْوَاتَ



عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ يَدْعُونَهُ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ مَا يُرِيدُونَ، إِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ «يَا رَبِّ» مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وَرُبَّمَا أَخَّرَ الْإِجَابَةَ لِيَسْتَمِرُّوا فِي الدُّعَاءِ.

تَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- لِي أَكْثَرُ مِنْ سُؤَالٍ، الْأَوَّلُ: هَلْ نَدْعُو اللَّهَ لِيُحَقِّقَ مَا نُرِيدُهُ فِي الدُّنْيَا؟ أَمْ نَدْعُوهُ لِيُحَقِّقَ مَا نُرِيدُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ؟ وَالثَّانِي: مَا هِيَ آدَابُ الدُّعَاءِ لِلَّهِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ قَائِلًا:

- أَمَّا عَنْ إِجَابَةِ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ: فَإِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ بِمَا شَاءَ فِيمَا يَرَاهُ خَيْرًا، سَوَاءٌ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، أَوْ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا عَنْ إِجَابَةِ السُّؤَالِ الثَّانِي: فَإِنَّ آدَابَ الدُّعَاءِ يُمْكِنُ تَحْدِيدُهَا فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

★ أَنْ يَدْعُوَ الْمُسْلِمُ رَبَّهُ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَهُوَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي ذِلَّةٍ وَخُشُوعٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الْأَعْرَاف: 55].

★ أَنْ يَخْفِضَ صَوْتَهُ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ فِي الْأَدَبِ، وَلِأَنَّ خَفْضَ الصَّوْتِ أَبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الدُّعَاءِ وَمَقْصُودُهُ، وَأَبْلَغُ فِي الْإِخْلَاصِ، وَلِهَذَا أَثْنَى اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى عَبْدِهِ النَّبِيِّ زَكَرِيَّا ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مَرْيَم: 3].

★ أَنْ يَفْتَتِحَ الدُّعَاءَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، مِثْلَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ»، ثُمَّ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَخْتَتِمَ الدُّعَاءَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

★ أَنْ يَنْطِقَ بِالدُّعَاءِ وَيُوقِنَ بِالْإِجَابَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبِ عَبْدٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

★ أَنْ يُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ وَيُكَرِّرَهُ ثَلَاثًا، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا».

★ أَنْ يَخْتَارَ أَفْضَلَ الْأَوْقَاتِ لِلدُّعَاءِ، وَأَهَمُّهَا: فِي أَثْنَاءِ السُّجُودِ، وَعِنْدَ سَمَاعِ

الْأَذَانِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَفِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَطَوَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ.

★ أَنْ يَسْتَعِينَ الْمُسْلِمُ فِي دُعَائِهِ بِالْأَدْعِيَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَفِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، مِثْلَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الْبَقَرَة: 286].

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ «مَرْيَمَ» بِكُلِّ الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي اكْتَسَبَاهَا عَنْ قِيمَةِ «الدُّعَاءِ».



الثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ

عَرَضَ «عُمَرُ» عَلَى الْعَائِلَةِ الْمَوْضُوعَ الَّذِي سَيُلْقِيهِ فِي الْإِذَاعَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ طَابُورِ الصَّبَاحِ، وَكَانَ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ «بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ» مُؤَذِّنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَيْفَ أَنَّهُ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا عِنْدَمَا دَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، لِكَيْ يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ، وَلَكِنَّهُ تَحَمَّلَ هَذَا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ، وَصَبَرَ عَلَى هَذَا الْإِيذَاءِ، وَكَانَ يُرَدِّدُ دَائِمًا: «أَحَدٌ.. أَحَدٌ»، أَيْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَاحِدُ وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَبِمَاذَا نُسَمِّي هَذَا الْإِصْرَارَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا «بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ» رَغْمَ تَعْذِيبِهِ كُلَّ هَذَا الْعَذَابِ الْمُؤْلِمِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- إِنَّهُ الثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ يَا بُنَيَّتِي، وَهُوَ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ، وَإِنْ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُمْ. وَهَذَا حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْتُلُوا وَعُذِّبُوا، وَسَاوَمَهُمُ الْأَعْدَاءُ لِيَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، فَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ثَبَاتًا وَاسْتِمْسَاكًا بِالْحَقِّ الَّذِي هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ.

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى هَذَا الثَّبَاتِ «أَصْحَابُ الْكَهْفِ» وَهُمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفِتْيَةِ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَفَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ تَهْدِيدِ الْكَافِرِينَ، وَلَجَأُوا إِلَى الْكَهْفِ، وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى آيَةً مِنْ آيَاتِهِ؛ حَيْثُ مَكَثُوا نِيَامًا فِي الْكَهْفِ ثَلَاثَمِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا.

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- وَكَذَلِكَ مِنْ أَمْثِلَةِ الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ «أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» حَيْثُ شَقَّ الْمُجْرِمُونَ الْأَرْضَ، فَصَارَ الشَّقُّ أُخْدُودًا وَأَضْرَمُوا فِيهِ النَّارَ، وَهَدَّدُوا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بِالْوَيْلِ وَالْعَذَابِ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَسَيُلْقَوْنَ فِي هَذِهِ

النَّـــارِ الْمُحْرِقَةِ، فَثَبَتَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ عَـــلَى إِيمَانِهِمْ رَغْمَ هَوْلِ هَذَا الْمَصِيرِ، وَفَضَّلُوا الْمَـــوْتَ حَرْقًا عَلَى أَلَّا يَعُـــودُوا كَافِرِينَ، قَالَ تَعَـــالَى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْــدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُـودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الْبُرُوج: 4-8].

تَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- وَمَا أَهَمُّ الْعَوَامِلِ الَّتِي تُسَاعِدُ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الْحَقِّ يَا جَدِّي؟



أَجَابَ الْجَدُّ قَائِلًا:

- أَهَمُّ الْعَوَامِلِ الَّتِي تُسَاعِدُ الْمُسْلِمَ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ يَا بُنَيَّ يُمْكِنُ تَحْدِيدُهَا فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

★ اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ وَدُعَاؤُهُ؛ فَإِنَّ اسْتِشْعَارَ الْعَبْدِ ضَعْفَهُ، وَحَاجَتَهُ إِلَى رَبِّهِ يَجْعَلُهُ دَائِمَ الِارْتِبَاطِ بِهِ، دَائِمَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، فَيَسْتَجِيبُ رَبُّهُ لَهُ، وَيَتَوَلَّاهُ وَيَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ وَالْفِتَنَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الْإِسْرَاء: 74]. وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ الثَّبَاتَ عَلَى الْحَقِّ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

★ تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفَهْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الْفُرْقَان: 32]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ - فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ -: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا..﴾ [الْأَنْفَال: 2].

★ الْعَمَلُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْكَفُّ عَنْ مَعَاصِيهِ؛ فَالطَّاعَةُ هِيَ غِذَاءُ الْقَلْبِ، وَالْمَعَاصِي سُمُومٌ تُصِيبُ الْقَلْبَ فِي مَقْتَلٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّسَاء: 66].

★ كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَلَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْكُفَّارِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الْأَنْفَال: 45].

★ الْقُرْبُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى؛ فَالْقُرْبُ مِنْهُمْ وَسَمَاعُ كَلَامِهِمْ يُذْهِبُ الْخَوْفَ وَالضِّيقَ، وَيُحَوِّلُهُ إِلَى انْشِرَاحٍ وَقُوَّةٍ وَيَقِينٍ وَطُمَأْنِينَةٍ.

وَأَدْرَكَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» قِيمَةَ «الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ» وَفَضْلَهُ، وَسَأَلَا اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَهُمَا عَلَيْهِ دَائِمًا.



حُبُّ الْخَيْرِ لِلآخَرِينَ

خَرَجَتِ الْعَائِلَةُ فِي نُزْهَةٍ إِلَى الْحَدِيقَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَتَوَسَّطُ الْمَدِينَةَ، وَجَلَسُوا بَيْنَ الزُّهُورِ وَالْأَشْجَارِ وَالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ الْجَمِيلِ، وَهُمْ فِي سَعَادَةٍ وَاسْتِبْشَارٍ. وَشَاهَدَتْ «مَرْيَمُ» أَطْفَالًا يَلْعَبُونَ بِالْكُرَةِ، يَتَقَاذَفُونَهَا هُنَا وَهُنَاكَ، وَآخَرِينَ يَلْعَبُونَ لُعْبَةً جَمَاعِيَّةً مُسَلِّيَةً، وَهُنَاكَ كِبَارٌ وَصِغَارٌ يَتَسَامَرُونَ مَعًا، فَقَالَتْ وَابْتِسَامَةٌ مُشْرِقَةٌ تَعْلُو وَجْهَهَا الْجَمِيلَ:

- مَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ سُعَدَاءَ فَرِحِينَ! كَمْ أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ مَنْ حَوْلِي فِي خَيْرٍ وَسَعَادَةٍ وَسُرُورٍ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- إِنَّ حُبَّ الْخَيْرِ لِلْآخَرِينَ يَا بُنَيَّتِي قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، يَتَحَلَّى بِهَا الْمُؤْمِنُ فَقَطْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». كَمَا قَالَ ﷺ: «أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا».

لَقَدْ رَبَّى الْإِسْلَامُ أَبْنَاءَهُ عَلَى اسْتِشْعَارِ أَنَّهُمْ كِيَانٌ وَاحِدٌ، وَأُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَجَسَدٌ وَاحِدٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الْحُجُرَات: 10]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الْأَنْبِيَاء: 92]. لِذَا يَجِبُ أَنْ يُحِبَّ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَفْرَادَ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً.

لَقَدْ خَلَّدَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْصَارَ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأُسَرَهُمْ فِي مَكَّةَ، وَجَاءُوا لِيَنْصُرُوا الْإِسْلَامَ وَنَبِيَّهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [الْحَشْر: 9].



قَالَ «عُمَرُ»:

- وَاللَّهِ يَـا جَدِّيَ الْعَزِيزَ، إِنِّي أُحِبُّ أَصْدِقَائِي فِي مَدْرَسَـتِي حُبًّا جَمًّا، وَأَتَمَنَّى لِكُلٍّ مِنْهُمْ مَا أَتَمَنَّاهُ مِنْ خَيْرٍ لِنَفْسِي.

رَدَّ الْجَدُّ عَلَى حَفِيدِهِ قَائِلًا:

- أَحْسَـنْتَ يَا وَلَـدِي، فَإِنَّ مِنْ أَبْـرَزِ صِفَاتِ الْمُسْـلِمِ الصَّادِقِ حُبَّـهُ لِإِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ حُبًّا سَامِيًا مُجَرَّدًا عَنْ كُلِّ مَنْفَعَةٍ، نَقِيًّا مِنْ أَيَّةِ شَائِبَةٍ، وَهَذَا الْحُبُّ يُسَمِّيهِ الْإِسْلَامُ «الْحُبَّ فِي اللَّهِ»، وَيَجِدُ الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ فِيهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، قَـالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيـهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَيَكْفِي الْمُتَحَابِّينَ شَـرَفًا وَعِـزَّةً أَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يُنَادِيهِمْ فِي سَـاحَةِ الْحَشْـرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَـوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». فَمَا أَعْظَمَـهُ مِنْ حُبٍّ، يَرْفَعُ الْمُسْـلِمَ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّـهُ فِيهَا وَيَرْضَى عَنْهُ. وَيَأْمُرُنَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ بِأَنْ نُخْبِرَ مَنْ نُحِبُّ بِأَنَّنَا نُحِبُّهُمْ، فَيَقُولُ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ».

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَاذَا عَنْ مَنْ لَا يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ وَيَكْرَهُ الْخَيْرَ لَهُمْ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- لَا يَكْرَهُ الْخَيْرَ لِلْمُسْـلِمِينَ وَلَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا أَصْنَافٌ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْبَشَـرِ: الْأَوَّلُ: فَرْدٌ لَا يَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَلَا يَطْمَئِنُّ لِعَدَالَةِ تَقْدِيرِهِ سُـبْحَانَهُ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَقْسِمَ رَحْمَةَ رَبِّهِ عَلَى حَسَـبِ شَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الزُّخْرُف:32]. فَهَذَا الْمُعْتَرِضُ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ مُنْعَدِمُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الثَّانِـي: فَرْدٌ أَكَلَ الْحِقْدُ وَالْحَسَـدُ قَلْبَـهُ، فَهُوَ يَتَمَنَّـى زَوَالَ النِّعْمَةِ مِنْ عِنْدِ

الْآخَرِينَ، وَهُــوَ فِي غَمٍّ دَائِمٍ وَعَــذَابٍ لَا يَنْقَطِعُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُــدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النِّسَاء: 54].

الثَّالِثُ: فَرْدٌ شَــدِيدُ الْأَنَانِيَةِ، يَخْشَــى أَنْ يُزَاحِمَهُ النَّاسُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرٍ وَمَالٍ، فَهُوَ يُخْفِي عَنْهُمْ هَذَا الْخَيْرَ وَذَاكَ الْمَالَ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرٍ، فَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحَى: 11].

فَمَا أَجْمَلَ - يَا أَحْفَادِيَ الْأَعِزَّاءَ - أَنْ نُوَطِّنَ أَنْفُسَنَا عَلَى حُبِّ الْخَيْرِ لِلْآخَرِينَ، وَأَنْ نَتَمَنَّى لَهُمْ مَا نَتَمَنَّاهُ لِأَنْفُسِنَا.



الصَّـرَاحَـةُ

فِي حِوَارٍ بَيْنَ «عُمَرَ» وَجَدِّهِ، قَالَ الْحَفِيدُ وَعَلَامَاتُ الْحَيْرَةِ تَعْلُو وَجْهَهُ:

- جَدِّي الْحَبِيبَ.. إِنَّ هُنَاكَ أَمْرًا حَيَّرَنِي حَدَثَ لِي الْيَوْمَ فِي الْمَدْرَسَةِ.

تَسَاءَلَ الْجَدُّ فِي اهْتِمَامٍ قَائِلًا:

- مَا هُوَ هَذَا الْأَمْرُ الْمُحَيِّرُ يَا وَلَدِي؟

أَجَابَ «عُمَرُ»:

- لِي زَمِيلٌ فِي الصَّفِّ الدِّرَاسِـيِّ يُدْعَى «هِشَـامًا» لَاحَظْتُ فِي الْأَسَابِيعِ الْأَخِيرَةِ إِهْمَالَهُ لِدُرُوسِـهِ، وَأَدَاءِ وَاجِبَاتِهِ الْمَنْزِلِيَّةِ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَوَادِّ الدِّرَاسِيَّةِ، مِمَّا جَعَلَ كَثِيرًا مِـنَ الْمُعَلِّمِينَ يُوَجِّهُونَ إِلَيْـهِ اللَّوْمَ وَالتَّهْدِيـدَ بِالْعِقَابِ، وَالْيَوْمَ فِي فَتْرَةِ الْفُسْـحَةِ وَاجَهْتُهُ بِهَذَا الْإِهْمَالِ إِشْـفَاقًا عَلَيْهِ، وَنَصَحْتُهُ بِطَرْحِ هَذَا التَّكَاسُـلِ جَانِبًا، لِيَعُودَ إِلَى اجْتِهَادِهِ فِي دُرُوسِـهِ وَوَاجِبَاتِهِ، وَمَا أَدْهَشَنِي أَنَّهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَشْكُرَنِي عَلَى اهْتِمَامِي بِهِ، وَحِرْصِي عَلَى تَذْكِيرِهِ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ، إِذْ بِهِ يَغْضَبُ مِنِّي وَيَنْهَرُنِي بِصَوْتٍ عَالٍ قَائِلًا:

- «اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَتَدَخَّلَ فِي شُؤُونِي الْخَاصَّةِ». إِنَّ مَا يُحَيِّرُنِي يَا جَدِّي أَنِّي كُنْتُ أَنْشُدُ مَصْلَحَتَهُ، وَلَكِنَّهُ غَضِبَ مِنِّي وَنَهَرَنِي.

قَالَ الْجَدُّ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ نَفَسًا عَمِيقًا:

- لَا عَلَيْـكَ يَا بُنَيَّ، لَقَدْ كُنْتَ صَرِيحًا مَعَ زَمِيلِكَ «هِشَـامٍ»، وَقَـدْ أَوْجَعَتْهُ هَذِهِ الصَّرَاحَـةُ وَآلَمَتْـهُ؛ لِأَنَّكَ ذَكَّرْتَـهُ بِوَاقِعِهِ الْمُخْـزِي، وَأَحْيَانًا يَـا وَلَدِي تَأْتِي الصَّرَاحَةُ بِعَكْسِ مَا كُنَّا نَتَوَقَّعُ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» بَعْدَ سَمَاعِهَا هَذَا الْحِوَارَ قَائِلَةً:

- الصَّرَاحَةُ!! وَمَا مَعْنَى الصَّرَاحَةِ؟

رَدَّتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- الصَّرَاحَةُ يَـا بُنَيَّتِي قِيمَةٌ مُهِمَّةٌ تَعْنِي الْإِدْلَاءَ بِرَأْيٍ حُرٍّ وَاقِعِيٍّ فِي مَوْضُوعٍ مَا، فِيهِ قَدْرٌ مِنَ الْحَسَاسِيَةِ، وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ تَعْنِي مُكَاشَفَةَ الْآخَرِ بِحَقِيقَةِ الْمَوْقِفِ وَسَـلْبِيَّاتِهِ مِنْ غَيْرِ تَجْمِيلٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، كَيْ يَرَى الْآخَرُ هَذَا الْمَوْقِفَ بِوُضُوحٍ، فَيَكُـونَ أَكْثَرَ إِدْرَاكًا وَوَعْيًا بِـهِ. وَقَدْ رَبَّى النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَـهُ عَلَى الصَّرَاحَةِ، فَحِينَ صَلَّى بِهِمُ الرَّسُـولُ ﷺ صَلَاةً رُبَاعِيَّةً رَكْعَتَيْنِ فَقَطْ، قَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ بِكُلِّ أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ وَصَرَاحَةٍ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ، أَمْ نَسِيتَ؟» فَقَالَ ﷺ: «لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ». عِنْدَئِـذٍ أَجَابَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - بِكُلِّ صَرَاحَةٍ: «بَلْ نَسِـيتَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ». فَلَمْ يُعَنِّفْهُمْ، وَلَمْ يَسْتَشْـعِرْ حَرَجًا، فَأَكْمَلَ الصَّلَاةَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ.



وَأَكْمَلَ الْجَدُّ حَدِيثَهُ عَنِ الصَّرَاحَةِ قَائِلًا:

- وَعِنْدَمَا وَقَفَ رَجُـلٌ يَأْمُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّـابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِتَقْوَى اللَّـهِ، اعْتَرَضَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ عَلَى صَرَاحَةِ هَـذَا الرَّجُلِ وَجُرْأَتِهِ، فَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «دَعُوهُ فَلْيَقُلْهَا، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوهَا وَلَا خَيْرَ فِينَا إِذَا لَمْ نَقْبَلْهَا». وَلِذَا يَجِبُ يَا أَحْفَادِي أَنْ نَحْتَرِمَ الصَّرِيحَ لِصَرَاحَتِهِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَقَبَّلَ صَرَاحَةَ الْآخَرِينَ فِينَا مَا دَامَتْ تَهْدُفُ إِلَى تَحْسِـينِ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا؛ فَالصَّرَاحَةُ خَيْرٌ مِنَ النِّفَاقِ وَالْمُجَامَلَةِ بِالْبَاطِلِ.

جَاءَ رَجُلٌ يُدْعَى «بَشِـيرًا» إِلَى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ لِيَتَعَلَّمَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَلِيُبَايِعَ رَسُـولَهُ، فَوَافَقَ «بَشِيرٌ» عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ إِلَّا الْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَكَانَ مِمَّا قَالَ يَوْمَئِذٍ: «أَمَّا الْجِهَادُ فَإِنِّي رَجُلٌ جَبَانٌ وَأَخَافُ إِنْ حَضَرَ الْقِتَالُ أَنْ أَخَافَ عَلَى نَفْسِـي فَأَفِرَّ فَأَبُوءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ». فَاسْـتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَاحَةَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْجُبْنِ بِهُدُوءٍ وَسَـكِينَةٍ وَلَمْ يُحْرِجْهُ بِلَفْظٍ، وَقَالَ لَهُ: «يَا بَشِـيرُ: لَا صَدَقَةَ وَلَا جِهَادَ! فِيمَ إِذَنْ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟» فَرَجَعَ «بَشِيرٌ» عَنْ كَلَامِهِ وَبَايَعَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

قَالَ «عُمَرُ»:

- وَلَكِنَّ الْبَعْضَ -مِثْلَ زَمِيلِي «هِشَـامٌ»- يَضِيقُ صَدْرُهُمْ بِالصَّرَاحَةِ وَيَغْضَبُونَ، فَمَا الْعَمَلُ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- يَجِـبُ أَنْ تَكُونَ الصَّرَاحَةُ مُقْتَرِنَةً بِأَدَبٍ جَمٍّ، وَحِرْصٍ عَلَى مَشَـاعِرِ الْآخَرِينَ، مِمَّـا يَجْعَلُ النُّفُوسَ مُنْقَـادَةً لِلنَّصِيحَةِ مُتَقَبِّلَةً لَهَا، أَمَّـا الصَّرَاحَةُ الْمُقْتَرِنَةُ بِسُـوءِ الْأَدَبِ، وَالْغِلْظَةِ وَالشِّـدَّةِ، وَاسْـتِخْدَامِ الْأَلْفَاظِ الْجَارِحَـةِ وَالْكَلِمَاتِ النَّابِيَةِ، فَهِيَ صَرَاحَةٌ مَرْفُوضَةٌ تَمَامًا.

وَسَـعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي اكْتَسَبَاهَا عَنْ قِيمَةِ «الصَّرَاحَةِ».



الْمَـوَدَّةُ

بَعْدَ الِانْتِهَاءِ مِنْ زِيَارَةِ الْعَائِلَةِ لِأُسْرَةِ أَحَدِ الْأَقَارِبِ، وَالَّتِي حَمَلَتْ فِيهَا الْعَائِلَةُ عُلْبَةً مِـنَ الْحَلْوَى اللَّذِيذَةِ الطَّعْمِ لِهَذِهِ الْأُسْـرَةِ، وَبَعْدَ عَوْدَتِهِـمْ إِلَى الْبَيْتِ قَالَ «عُمَرُ» وَابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ عَلَى وَجْهِهِ:

- لَقَدْ سَعِدْنَا فِعْلًا يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ، كَمْ أُحِبُّ هَؤُلَاءِ الْأَقَارِبِ الْأَعِزَّاءِ، وَكَمْ أُحِبُّ زِيَارَتَهُمْ.

قَالَ الْجَدُّ:

- وَكَمْ أَنَا سَـعِيدٌ بِكَلِمَاتِكَ هَذِهِ يَا وَلَدِي، فَإِنَّ دِينَنَا الْإِسْـلَامِيَّ الْحَنِيفَ يَحُثُّنَا عَلَى أَنْ نُحِبَّ أَقَارِبَنَا وَأَهْلَنَا، وَأَنْ نَوَدَّهُمْ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ»:

- نُحِبُّهُمْ وَنَوَدُّهُمْ!! وَهَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَعْنَى الْحُبِّ وَمَعْنَى الْوُدِّ يَا جَدِّي؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- نَعَمْ هُنَاكَ فَرْقٌ يَا بُنَيَّتِي -رَغْمَ قُرْبِهِمَا فِي الْمَعْنَى- فَالْوُدُّ أَصْفَى الْحُبِّ وَأَنْقَاهُ، أَيْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْحُبِّ، فَهُوَ أَشْمَلُ وَأَعَمُّ وَأَكْبَرُ مِنَ الْحُبِّ. وَإِذَا كَانَ الْحُبُّ هُوَ الْمَشَاعِرَ الدَّاخِلِيَّةَ، فَإِنَّ الْوُدَّ هُوَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذِهِ الْمَشَاعِرِ بِالْأَفْعَالِ. فَزِيَارَتُنَا لِأُسْرَةِ قَرِيبِنَا هَذَا فِيهَا مَعْنَى الْحُبِّ، وَعُلْبَةُ الْحَلْوَى الَّتِي حَمَلْنَاهَا لَهُمْ فِيهَا مَعْنَى الْوُدِّ؛ لِأَنَّهَا تَعْبِيرٌ عَنْ هَذَا الْحُبِّ بِالْفِعْلِ وَالتَّصَرُّفِ. إِنَّ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَإِذَا تَمَّ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِابْتِسَامَةٍ أَوْ تَحِيَّةٍ صَارَ وُدًّا.

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ عَنِ الْوُدِّ وَالْمَوَدَّةِ، فَقَالَتْ:

- إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى اسْمَ «الْوَدُودِ»، وَمَعْنَاهُ الْمُحِبُّ الْمَحْبُوبُ لِأَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ -عَزَّ وَجَلَّ- الْمَحْبُوبُ لَهُمْ، بَلْ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ سُـبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿... إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هُود: 90]، كَمَا قَالَ


بيت
الحلويات

تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [الْبُرُوج: 14]، وَنُلَاحِظُ أَنَّ اسْمَ «الْوَدُودِ» فِي تِلْكَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مُقْتَرِنٌ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

وَوَاصَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ:

- إِنَّ الْحُبَّ وَالْوُدَّ مِنَ الْقِيَمِ السَّامِيَةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ، وَغَذَّاهَا بِتَعَالِيمِ الدِّينِ لِتَنْمُوَ وَتَزْدَادَ وَتَكُونَ أَسَاسًا لِعَلَاقَاتِ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ. فَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، وَعَلَاقَتُهُمَا بِالْأَبْنَاءِ، هِيَ عَلَاقَةُ مَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ وَسَكَنٍ لِلنَّفْسِ وَطُمَأْنِينَةٍ وَرَاحَةٍ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: 21].

وَلِكَيْ تَسْتَمِرَّ الْمَوَدَّةُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهَا، وَيُكْرِمَ مُعَامَلَتَهَا، وَعَلَيْهَا أَنْ تُطِيعَهُ إِذَا أَمَرَهَا، وَتَحْفَظَهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ، وَأَنْ تُؤَثِّرَ فِي قَلْبِهِ بِالْعَاطِفَةِ الْمُحَبَّبَةِ. جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ لِي زَوْجَةً إِذَا دَخَلْتُ تَلَقَّتْنِي (أَيِ اسْتَقْبَلَتْنِي أَفْضَلَ اسْتِقْبَالٍ)، وَإِذَا خَرَجْتُ شَيَّعَتْنِي (أَيْ وَدَّعَتْنِي أَحْسَنَ وَدَاعٍ)، وَإِذَا رَأَتْنِي مَهْمُومًا قَالَتْ: «مَا يُهِمُّكَ، إِنْ كُنْتَ تَهْتَمُّ لِرِزْقِكَ فَقَدْ تَكَفَّلَ بِهِ غَيْرُكَ (تَعْنِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)، وَإِنْ كُنْتَ تَهْتَمُّ بِأَمْرِ آخِرَتِكَ فَزَادَكَ اللَّهُ هَمًّا». فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِلرَّجُلِ: «بَشِّرْهَا بِالْجَنَّةِ وَقُلْ لَهَا: إِنَّكِ عَامِلَةٌ مِنْ عُمَّالِ اللَّهِ، وَلَكِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَجْرُ سَبْعِينَ شَهِيدًا».

وَمِنْ وَاجِبِ الْوَالِدَيْنِ إِشَاعَةُ الْمَوَدَّةِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالطُّمَأْنِينَةِ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ حِينَ يَشْعُرُونَ بِهَذِهِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ وَالِدَيْهِمْ وَانْسِجَامِهِمَا فِي مُوَاجَهَةِ مَسْؤُولِيَّاتِ الْحَيَاةِ، فَسَوْفَ يَشِبُّ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ عَلَى صِحَّةٍ نَفْسِيَّةٍ سَوِيَّةٍ وَقَوِيَّةٍ.

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» فَقَالَ:

- وَمَاذَا عَنْ بَعْضِ مَظَاهِرِ «الْوَدُودِ» مَعَ عِبَادِهِ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- الْمَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى... إِنَّ كُلَّ مَا مَنَحَكَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ

حَوَاسّ سَـليمَةٍ، وَصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، وَعَقْلٍ مُفَكِّرٍ، وَعِلْـمٍ يُنِيرُ لَكَ الطَّرِيقَ، جُزْءٌ يَسِـيرٌ مِنْ وُدِّ اللَّهِ لَكَ، وَإِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ دَعَوْتَهُ، فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَكَ، قَـالَ تَعَالَى: ﴿وَقَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِـر: 60]، وَإِذَا أَصَابَكَ مَرَضٌ، فَهُوَ يَشْـفِيكَ. وَقَدْ سَـخَّرَ لَكَ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ الْحِسَابُ يَسِـيرًا، وَتَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِكَ الصَّالِحِينَ مَسْرُورًا فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ الَّتِي فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وَسَـعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِكُلِّ الْمَعْلُومَاتِ وَالْمَعَارِفِ الَّتِي عَرَفَاهَا عَنْ قِيمَةِ «الْمَوَدَّةِ».



إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْآخَرِينَ

فِي إِجَـازَةِ نِهَايَةِ الْأُسْـبُوعِ، قَامَتِ الْعَائِلَةُ بِزِيَارَةِ إِحْـدَى دُورِ الْأَيْتَامِ، وَقَدَّمَتْ لِبَعْضِ هَؤُلَاءِ الْأَيْتَامِ هَدَايَا مُنَاسِـبَةً أَسْـعَدَتْهُمْ وَأَدْخَلَتِ السُّـرُورَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الصَّغِيرَةِ الْمَحْرُومَةِ مِنْ حَنَانِ وَرِعَايَةِ الْأُسْرَةِ.

وَعِنْدَمَا عَادَتِ الْعَائِلَةُ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ، قَالَتْ «مَرْيَمُ» وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ:

- مَـا أَجْمَلَ مَا قُمْنَا بِهِ الْيَـوْمَ! لَقَدْ أَدْخَلْنَا الْفَرْحَةَ وَالسُّـرُورَ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْأَيْتَامِ الْمَسَاكِينِ، وَأَسْعَدْنَاهُمْ بِتِلْكَ الْهَدَايَا.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- صَدِّقِينِي يَا بُنَيَّتِي.. فَإِنَّ رِعَايَةَ الطِّفْلِ الْيَتِيمِ ـ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ ـ تُعَدُّ مِنْ أَفْضَلِ سُبُلِ الْخَيْرِ، وَبَابٌ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الْبَقَرَة: 215]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وَأَشَـارَ بِالسَّـبَّابَةِ وَالْوُسْـطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْـكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ».

وَأَكْمَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- إِنَّ إِدْخَالَ السُّـرُورِ عَلَى قَلْبِ الْيَتِيمِ أَحَدُ أَبْوَابِ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْآخَرِينَ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ ـ مِثْلَ الْمَسَـاكِينِ وَالْمَحْرُومِيـنَ وَالْفُقَرَاءِ، وَالَّتِي تُعَدُّ قِيمَةً دِينِيَّـةً عَظِيمَةً، فَهِيَ مِنْ أَهَـمِّ الْقُرُبَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُ الْعَبْدَ إِلَى اللَّهِ ـ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ، وَتَجْعَلُهُ يَظْفَرُ بِسُـرُورٍ أَكْبَرَ يُدْخِلُهُ اللَّهُ ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى قَلْبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْـلِمَ بِمَا يُحِبُّ اللَّهُ لِيَسُرَّهُ بِذَلِكَ، سَرَّهُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

يُحْكَى أَنَّــهُ فِي قَدِيـمِ الزَّمَــانِ كَانَ هُنَاكَ أَحَدُ الْأَغْــنِيَاءِ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ مَـالًا لَا يُعَـدُّ وَلَا يُحْصَى، فَـكَانَ مَضْرِبًا لِلْأَمْثَالِ فِي الْغِنَى، وَلَكِـنَّ كُلَّ هَذَا الْمَالِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُسْـعِدَ صَاحِبَهُ، فَأَصْبَحَ دَائِمَ الْحُزْنِ، وَأُصِيبَ بِمَرَضِ الِاكْتِئَابِ، وَزَهِـدَ فِي الدُّنْيَا، وَشَـعَرَ بِأَنَّ الْمَوْتَ يَدْنُو مِنْــهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَصْـرِفَ أَمْوَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، فَذَهَبَ بِأَمْوَالِـهِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَأَخَذَ يُوَزِّعُهَا عَلَيْهِمْ، فَرَأَى السَّـعَادَةَ وَالسُّرُورَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَوَجَدَ الْأَطْفَالَ سُعَدَاءَ فَرِحِينَ بِمَا أَعْطَاهُمْ، وَفِي هَذِهِ



اللَّحْظَةِ زَالَ الاكْتِئَابُ عَنِ الرَّجُلِ، وَانْكَشَفَ عَنْهُ الْحُزْنُ، وَأَحَسَّ بِالسَّعَادَةِ تَغْمُرُ قَلْبَهُ، وَتَفَتَّحَ أَمَلُهُ فِي الْحَيَاةِ، وَأَدْرَكَ أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَكُونُ فِي إِسْعَادِ الْآخَرِينَ، وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- وَمَا أَهَمُّ الْأَسَالِيبِ وَالْوَسَائِلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ الْآخَرِينَ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- مِنْ أَهَمِّ الْأَسَالِيبِ وَالْوَسَائِلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ الْآخَرِينَ:

★ أَنْ تُطْعِمَ جَائِعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الْإِنْسَان: 8]. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [الْبَلَد: 14 ـ 16].

★ أَنْ تُعْطِيَ مُعْسِرًا مَالًا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ..﴾ [الْبَقَرَة: 177]. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الْبَقَرَة: 215].

★ أَنْ يَمْشِيَ الْمُسْلِمُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَأَنْ يُسَاعِدَهُ فِي حَلِّ مُشْكِلَةٍ مِنْ مُشْكِلَاتِهِ، سَوَاءٌ فِي الْعَمَلِ، أَوْ فِي الْأُسْرَةِ، أَوْ فِي الْمُجْتَمَعِ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ أَفْضَلُ مِنِ اعْتِكَافِ شَهْرٍ فِي الْمَسْجِدِ».

★ التَّكَلُّمُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي لَهَا أَثَرٌ بَالِغٌ فِي تَآلُفِ الْقُلُوبِ، وَإِبْعَادِ الْهُمُومِ، وَمَعَ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ تَكُونُ الِابْتِسَامَةُ الْوَدُودَةُ، وَالْبُشْرَى الْمُفْرِحَةُ، وَالْمُوَاسَاةُ الْمُسَلِّيَةُ، وَذَلِكَ تَأَسِّيًا بِرَسُولِنَا الْكَرِيمِ ﷺ الَّذِي كَانَ دَائِمًا بَشُوشَ الْوَجْهِ، بَاسِمَ الثَّغْرِ، يُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى الْقُلُوبِ.

فَكَمْ نَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ شِعَارُنَا: «اصْنَعِ السَّعَادَةَ فِي قُلُوبِ مَنْ حَوْلَكَ».

وَتَعَهَّدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِأَنْ يَكُونَ «إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْآخَرِينَ» شِعَارَهُمَا فِي الْحَيَاةِ.



مُراقَبَـةُ اللَّهِ

شَـاهَدَتِ الْعَائِلَةُ فِي التِّلِيفِزْيُونِ تَمْثِيلِيَّةً دِينِيَّةً مَفَادُهَا أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ السُّوقَ وَاشْتَرَى سَمَكًا لِأَهْلِ بَيْتِهِ، وَوَضَعَهُ فِي زِنْبِيلٍ، وَعِنْدَمَا حَمَلَ الرَّجُلُ زِنْبِيلَ السَّمَكِ وَجَدَهُ ثَقِيلًا، فَأَتَاهُ غُلَامٌ صَغِيرٌ وَقَالَ لِلرَّجُلِ:

- يَا عَمَّاهُ.. هَلْ تُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَهُ عَنْكَ وَأُوَصِّلَهُ إِلَى بَيْتِكَ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ:

- لَنْ تَسْتَطِيعَ يَا وَلَدِي؛ فَهُوَ ثَقِيلُ الْوَزْنِ.

قَالَ الْغُلَامُ فِي ثِقَةٍ:

- إِنَّنِي قَادِرٌ عَلَى حَمْلِهِ طَالِبًا الْعَوْنَ وَالْمُسَاعَدَةَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَأَعْطَى الرَّجُلُ زِنْبِيلَ السَّـمَكِ لِلْغُلَامِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى رَأْسِـهِ، وَسَارَ بِجَانِبِ الرَّجُلِ فِي الطَّرِيقِ. وَفِي أَثْنَاءِ سَـيْرِهِمَا سَأَلَهُ الرَّجُلُ: مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الشَّاقِّ وَأَنْتَ مَا زِلْتَ صَغِيرَ السِّنِّ؟

أَجَابَ الْغُلَامُ: الْحَاجَةُ يَا عَمَّاهُ..

وَفِي أَثْنَاءِ سَـيْرِهِمَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ مُنَادِيًا لِصَلَاةِ الظُّهْـرِ، فَمَا كَانَ مِنَ الْغُلَامِ إِلَّا أَنِ اتَّجَهَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ زِنْبِيلَ السَّمَكِ عِنْدَ بَابِهِ، فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ مِنْ صَنِيعِهِ قَائِلًا:

- مَاذَا سَتَفْعَلُ يَا بُنَيَّ؟

قَالَ الْغُلَامُ:

- أَلَمْ تَسْمَعْ مُنَادِيَ الرَّحْمَنِ يُنَادِي لِلصَّلَاةِ؟!
- وَمَاذَا نَفْعَلُ بِالسَّمَكِ؟ إِنَّنَا سَنَفْقِدُهُ.
- هَوِّنْ عَلَيْكَ الْأَمْرَ؛ فَبِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى لَنْ نَفْقِدَهُ.

وَبِالْفِعْـلِ أَدَّيَا صَلَاةَ الظُّهْـرِ فِي جَمَاعَةٍ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الصَّلَاةِ وَجَدَا السَّـمَكَ فِي مَكَانِـهِ فِي حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى، فَحَمَلَهُ الْغُلَامُ حَتَّى وَصَـلَا إِلَى بَيْتِ الرَّجُلِ، الَّذِي

أُعْجِبَ بِالْغُلَامِ صَغِيرِ السِّنِّ وَكَبِيرِ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ:

- لَعَلَّكَ تَبْقَى مَعَنَا لِتَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْغَدَاءِ.
- فَقَالَ الْغُلَامُ: إِنِّي صَائِمٌ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: إِذَنْ تَبْقَى مَعَنَا حَتَّى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لِنُفْطِرَ مَعًا.

فَقَالَ الْغُلَامُ:

- إِذَا كَانَ لَابُدَّ، فَتَأْتُونَ لِي بِالطَّعَامِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَنَا مَوْجُودٌ فِيهِ حَتَّى وَقْتِ الْإِفْطَارِ.



فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ فِي إِعْجَابٍ بِإِيمَانِهِ:

- مَا الَّذِي أَوْصَلَكَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْإِيمَانِ يَا وَلَدِي؟!

فَأَجَابَ الْغُلَامُ:

- مُرَاقَبَةُ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ التَّمْثِيلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، سَأَلَتْ «مَرْيَمُ»:

- مَا مَعْنَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزُ؟

أَجَابَ الْجَدُّ قَائِلًا:

- مُرَاقَبَةُ اللَّهِ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ تَعْنِي تَيَقُّنَ الْمُؤْمِنِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ، ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَأَدَقَّ أُمُورِهِ وَأَسْرَارِهِ، فَيَسْتَحِي مِنْ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا نَهَاهُ عَنْهُ خَالِقُهُ، أَوْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ يُغْضِبُ رَبَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: 1].

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمُحَاسِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿.. وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ..﴾ [الْبَقَرَة: 284]. وَلِذَلِكَ فَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مُرَاقَبَةَ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - مِنَ الْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ الْعَالِيَةِ، فَعِنْدَمَا سُئِلَ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». فَمُرَاقَبَةُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَرْكِ الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ».

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- وَمَا أَسْبَابُ ضَعْفِ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ لَدَى بَعْضِ النَّاسِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزُ؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- الْأَسْبَابُ كَثِيرَةٌ يَا بُنَيَّ، مِنْ أَهَمِّهَا:

★ الْإِسْرَافُ فِي مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا، فَيُصْبِحُ هَمُّ الْعَبْدِ الْحُصُولَ عَلَى أَكْبَرِ قَدْرٍ

مِنْهَـا، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَصْدَرِهَـا مِنْ حَلَالٍ أَوْ مِنْ حَـرَامٍ، وَالتَّهَاوُنُ مَعَ النَّفْسِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى.

★ قِلَّـةُ تَذَكُّرِ الْمَوْتِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى نِسْـيَانِ اللَّهِ، وَعَـدَمِ مُرَاقَبَتِهِ، وَضَعْفِ الْعَزِيمَةِ، وَفُتُورِ الْإِيمَانِ.

★ الْوُقُوعُ فِي الْمَعَاصِي وَالسَّـيِّئَاتِ، وَلَا سِيَّمَا صَغَائِرُ الذُّنُوبِ مَعَ الاِسْتِهَانَةِ بِهَا.

وَتَعَهَّدَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمَا.



السِّتْرُ

حَكَى «عُمَرُ» لِعَائِلَتِهِ مَا حَدَثَ لَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ فَقَالَ:

- بَيْنَمَا كُنَّا فِي مَلَاعِبِ الْمَدْرَسَـةِ فِي أَثْنَـاءِ حِصَّةِ التَّرْبِيَـةِ الْبَدَنِيَّةِ، طَلَبَ مِنِّي الْمُعَلِّمُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكْتَبِهِ الْخَاصِّ وَأُحْضِرَ لَهُ كُرَّاسَةَ تَقْوِيمِ التَّلَامِيذِ، وَعِنْدَمَا فَعَلْـتُ هَذَا إِذْ بِي أَجِدُ تِلْمِيـذًا يَعْبَثُ فِي دُرْجِ مَكْتَبِ الْمُعَلِّـمِ، وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً لِهَذَا التِّلْمِيذِ الَّذِي ارْتَبَكَ بِشِدَّةٍ مِنْ رُؤْيَتِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا؟ فَتَلَعْثَمَ فِي الْكَلَامِ، وَلَمْ يَسْـتَطِعْ أَنْ يُعْطِيَ تَفْسِـيرًا مَنْطِقِيًّا لِوُجُودِهِ مُنْفَرِدًا فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِ الْمُعَلِّمِ. وَأَخِيرًا قَالَ لِي:

- إِذَا اعْتَرَفْتُ لَكَ بِالْحَقِيقَةِ، فَهَلْ تَعْفُو عَنِّي وَلَا تُخْبِرُ أَحَدًا بِفَعْلَتِي هَذِهِ؟

فَقُلْتُ لَهُ:

- نَعَمْ عَلَى شَرْطِ أَلَّا تَعُودَ لِذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى.

- مُوَافِـقٌ.. لَقَدْ حَضَرْتُ خِلْسَـةً إِلَى مَكْتَبِ الْمُعَلِّمِ فِي مُحَاوَلَـةٍ لِتَعْدِيلِ دَرَجَتِي الْمُتَدَنِّيَةِ، وَأَحْضَرْتُ مَعِي مُزِيلًا لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ.

قُلْتُ لَهُ:

- وَهَلْ قُمْتَ بِتَعْدِيلِ الدَّرَجَةِ؟

فَقَالَ:

- لَا، فَلَقَـدْ حَضَرْتَ أَنْتَ فَجْأَةً، وَأَعِدُكَ بِأَنَّنِي لَنْ أُكَرِّرَ مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ الشَّـنِيعِ مَرَّةً أُخْرَى، فَأَرْجُوكَ أَلَّا تَفْضَحَنِي وَأَلَّا تُخْبِرَ أَحَدًا فِي الْمَدْرَسَةِ بِمَا فَعَلْتُ.

وَقَدْ صَدَّقْتُ تَوْبَتَهُ، وَلَمْ أُخْبِرْ أَحَدًا فِي الْمَدْرَسَةِ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- إِنَّكَ بِهَذَا التَّصَرُّفِ يَا «عُمَرُ» سَـتَرْتَ هَذَا التِّلْمِيذَ، وَلَمْ تَفْضَحْهُ فِي الْمَدْرَسَةِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ خَيْرٍ يَا وَلَدِي، فَلَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ - سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِسَتْرِ

الْعُيُوبِ، وَإِخْفَاءِ الزَّلَّاتِ وَالْهَفَوَاتِ، وَقَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَالسِّتْرُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُسْلِمِ الْحَقِّ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَا مَعْنَى السِّتْرِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ قَائِلًا:

- السِّتْرُ يَا بُنَيَّتِي - كَمَا قَالَتْ جَدَّتُكِ - إِخْفَاءُ عُيُوبِ وَنَوَاقِصِ النَّاسِ، وَعَدَمُ إِفْشَائِهَا لِلْآخَرِينَ، وَهِيَ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، وَصِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا إِلَّا سَتَرَهُ



اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَعَــنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «لَوْ أَخَذْتُ سَــارِقًا لَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْتُرَهُ اللَّهُ، وَلَوْ أَخَذْتُ شَــارِبًا لِلْخَمْرِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْتُرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». وَمِنَ الدُّعَاءِ الْمُسْــتَحَبِّ فِي هَذَا الْمَجَالِ: «اللَّهُمَّ اسْتُرْنَا فَوْقَ الْأَرْضِ، وَاسْتُرْنَا تَحْتَ الْأَرْضِ، وَاسْتُرْنَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْكَ».

وَقَــالَ أَحَدُ الصَّالِحِيــنَ: «لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ قَوْمًا يَسْــتُرُونَ الذُّنُوبَ». لِذَا يَسْــعَى الشَّــيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ إِلَى كَشْفِ سَوْءَاتِ وَعَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَــلَّ - بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الدُّنْيَــا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَــالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ [النُّور: 19].

قَالَ «عُمَرُ»:

- وَمَا هِيَ الْآثَارُ الْإِيجَابِيَّةُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى السِّتْرِ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَرْدِ، أَوِ الْمُجْتَمَعِ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- أَهَمُّ الْآثَارِ الْإِيجَابِيَّةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى السِّتْرِ مَا يَلِي:

★ اسْتِشْعَارُ الْفَرْدِ لِفَضْلِ السِّتْرِ، مِمَّا يُثَبِّتُ الثِّقَةَ فِي نَفْسِهِ.

★ تَوْبَةُ الْمَسْتُورِ عَلَيْهِ، وَرُجُوعُهُ وَنَدَمُهُ عَلَى مَا فَعَلَ، مِمَّا يُصْلِحُ مِنْ أَحْوَالِهِ.

★ السِّتْرُ عِلَاجٌ اجْتِمَاعِيٌّ كَبِيرٌ، حَيْثُ تَخْتَفِي فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْمُجْتَمَعِ.

★ انْتِشَارُ الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَانْتِشَارُ حُسْنِ الظَّنِّ بَيْنَهُمْ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَهَلْ يَعْنِي السِّتْرُ أَلَّا نُبَلِّغَ عَنْ قَاتِلٍ قَتَلَ، أَوْ لِصٍّ سَرَقَ، أَوْ شَارِبِ خَمْرٍ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- لَا يَــا بُنَيَّتِي، يَجِبُ أَنْ نَضَعَ كُلَّ شَــيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيــحِ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجَرَائِمِ وَالَّتِي تُعَدُّ مِنَ الْكَبَائِرِ فِي الْإِسْــلَامِ - يَجِبُ التَّصَدِّي لَهَا بِشِدَّةٍ، وَإِبْلَاغُ الْمَسْؤُولِينَ عَنْ مُرْتَكِبِهَا؛ لِنَحْمِيَ الْمُجْتَمَعَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ.

وَسَعِدَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» بِمَا عَرَفَاهُ عَنْ قِيمَةِ «السِّتْرِ».



الْبَرَكَـةُ

لَاحَظَ «عُمَرُ» أَنَّ مُسْــتَوَى مَعِيشَــةِ صَدِيقِهِ «مَحْمُودٍ» جَيِّـدٌ، وَلَا يَقِلُّ هَذَا الْمُسْــتَوَى (مَأْكَلًا وَمَلْبَسًا وَسَــكَنًا) عَنْ مُسْــتَوَى عَائِلَةِ «عُمَرَ»، رَغْمَ أَنَّ وَالِدَ صَدِيقِهِ «مَحْمُودٍ» يَعْمَلُ مُوَظَّفًا حُكُومِيًّا، وَيَتَقَاضَى مُرَتَّبًا شَهْرِيًّا مَحْدُودًا.

وَعِنْدَمَا أَبْدَى «عُمَرُ» هَذِهِ الْمُلَاحَظَةَ لِلْعَائِلَةِ، قَالَ لَهُ الْجَدُّ:

- إِنَّهَا الْبَرَكَةُ يَا بُنَيَّ الَّتِي يَصِيرُ بِهَا الْقَلِيلُ كَثِيرًا، وَيَصِيرُ حَالُ الْعَبْدِ إِلَى فَضْلٍ وَنِعْمَةٍ وَزِيَادَةٍ وَخَيْرٍ. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا بَارَكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْخَيْرَ فِيمَا أَعْطَاهُ مِنْ نِعَمٍ.

تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- مَا مَعْنَى الْبَرَكَةِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- الْبَرَكَةُ يَا بُنَيَّتِي قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، وَهِيَ تَعْنِي ثُبُوتَ الْخَيْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الشَّيْءِ، فَـإِذَا حَلَّتْ فِي قَلِيلٍ كَثَّرَتْـهُ، وَإِذَا حَلَّتْ فِي كَثِيرٍ نَفَـعَ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبَارِكَ لِلْعَبْدِ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي أَوْلَادِهِ، أَوْ فِي صِحَّتِهِ، أَوْ فِي عِلْمِهِ، هَيَّأَ لَهُ الْأَسْبَابَ، وَفَتَحَ فِي وَجْهِهِ الْأَبْوَابَ. وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فَاطِر: 2]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الْأَعْرَاف: 96].

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ حَدِيثَهَا عَنْ قِيمَةِ الْبَرَكَةِ، فَقَالَتْ:

- لَوْ تَأَمَّلْنَا يَــا أَحْفَادِي الْأَعِزَّاءَ حَــالَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِيــنَ، لَوَجَدْنَا الْبَرَكَةَ وَاضِحَةً فِي أَحْوَالِهِمْ، فَهَذَا رَجُلٌ دَخْلُهُ الشَّــهْرِيُّ مَحْدُودٌ - مِثْلَ وَالِدِ صَدِيقِكَ «مَحْمُــودٍ» يَا «عُمَرُ» - وَلَكِــنَّ هَذَا الدَّخْلَ يَكْفِيــهِ وَعَائِلَتَــهُ وَيَدَّخِرُونَ مِنْهُ

أَيْضًا، حَيْثُ الْمَرَضُ لَا يَـزُورُ عَائِلَتَهُ، وَأَدَوَاتُ مَنْزِلِهِ مَصُونَـةٌ وَتَعْمَلُ بِكَفَاءَةٍ بِـدُونِ خَرَابٍ أَوْ كَسْـرٍ أَوْ فَقْدٍ، وَلَا يُثْقِلُهُ قُدُومُ زَائِرِيـنَ، بَيْنَمَا نَجِدُ رَجُلًا آخَرَ دَخْلُهُ الْمَادِّيُّ مُضَاعَفٌ، وَلَكِنَّهُ يَشْـكُو مِنْ قِلَّةِ هَذَا الدَّخْلِ فِي سَـدِّ حَاجِيَاتِهِ؛ فَالْأَمْرَاضُ تُصِيبُ عَائِلَتَهُ، وَالسَّـيَّارَةُ أُعْطِبَـتْ، وَأَوْلَادُهُ يَحْتَاجُونَ إِلَى دُرُوسٍ خُصُوصِيَّةٍ تُعِينُهُمْ عَلَى الْمُذَاكَرَةِ، وَهَكَذَا فَلَا بَرَكَةَ فِي هَذَا الْمَالِ الْكَثِيرِ. وَالْبَرَكَةُ



إِذَا حَلَّتْ تَحُلُّ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: فِي الْمَالِ، وَالْوَلَدِ، وَالْوَقْتِ، وَالْعَمَلِ، وَالْإِنْتَاجِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالسَّيَّارَةِ، وَالدَّارِ، وَالْأَصْدِقَاءِ، وَالْجِيرَانِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَفِي دَقَائِقِ حَيَاةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ.

تَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- وَمَا هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَجْعَلُنِي أَسْتَحِقُّ الْبَرَكَةَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ؟

أَجَابَ الْجَدُّ قَائِلًا:

- الْأُمُورُ الَّتِي تَجْعَلُكَ تَسْتَحِقُّ الْبَرَكَةَ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - يَا بُنَيَّ كَثِيرَةٌ، مِنْ أَهَمِّهَا مَا يَلِي:

★ تَقْوَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فَهِيَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق: 2، 3].

★ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّهُ كِتَابٌ مُبَارَكٌ، وَقِرَاءَتُهُ تَجْلِبُ الْخَيْرَ وَالْبَرَكَةَ.

★ الدُّعَاءُ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ طَعَامًا فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ».

★ الْعَطَاءُ، وَإِخْرَاجُ الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَالْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى.

★ صِلَةُ الْأَرْحَامِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي عُمُرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

★ إِنْجَازُ الْأَعْمَالِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»؛ لِأَنَّ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ بَرَكَةً.

★ الْعَمَلُ وَالْكَسْبُ الطَّيِّبُ الْحَلَالُ.

★ الْمُدَاوَمَةُ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نُوح: 10 - 12].

وَأَدْرَكَ كُلٌّ مِنْ «عُمَرَ» وَ«مَرْيَمَ» مَعْنَى «الْبَرَكَةِ»، وَكَيْفَ تَحِلُّ بِالْعَبْدِ، وَمَا فَضْلُهَا، فَشَكَرَا الْجَدَّ وَالْجَدَّةَ وَسَأَلَا اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَهُمَا.



الـزُّهْـدُ

شَــاهَدَتِ الْعَائِلَــةُ فِي التِّلِيفِزْيُونِ عَمَلًا دِرَامِيًّا تَنَاوَلَ حَيَــاةَ أَحَدِ الزَّاهِدِينَ فِي التَّارِيخِ الْإِسْــلَامِيِّ، وَكَيْفَ كَانَ يَعِيشُ حَيَاةً بَسِـيطَةً لِلْغَايَةِ رَغْمَ مَا كَانَ يَمْتَلِكُهُ مِنْ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَجَعَــلَ كُلَّ اهْتِمَامَاتِهِ مُتَّصِلَةً بِطَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْإِقْبَالِ عَلَى كُلِّ مَا يُرْضِيهِ، وَالِابْتِعَادِ تَمَامًا عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُهُ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُشَاهَدَةِ تَسَاءَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- جَدَّتِي الْحَبِيبَةَ، مَا مَعْنَى الزُّهْدِ؟

رَدَّتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- الزُّهْدُ فِي الشَّيْءِ يَا بُنَيَّتِي يَعْنِي انْصِرَافَ الرَّغْبَةِ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ. انْظُرِي فِي قِصَّةِ النَّبِيِّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَمَا كَانَ غُلَامًا صَغِيرًا وَوَضَعَهُ إِخْوَتُهُ فِي الْبِئْرِ الْعَمِيقَةِ لِيَتَخَلَّصُوا مِنْهُ، وَجَاءَ قَوْمٌ مُسَــافِرُونَ وَعَثَرُوا عَلَيْهِ وَأَخْرَجُوهُ مِــنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوهُ بِثَمَنٍ قَلِيلٍ لِلْغَايَةِ زُهْدًا فِي قِيمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَــرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يُوسُف: 20].

وَالزُّهْــدُ فِي الدُّنْيَا يَعْنِي تَرْكَ رَاحَةِ الدُّنْيَا طَلَبًا لِرَاحَةِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَالزَّاهِدُ يَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا، وَيَحْذَرُ مِنْ طُغْيَانِهَا عَلَى الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ.

وتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- أَيَعْنِي هَذَا أَلَّا نَسْعَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَلَّا نَهْتَمَّ بِمَا نَمْلِكُهُ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- لَا يَــا بُنَيَّ.. لَا.. فَلَيْسَ الْمَقْصُــودُ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا رَفْضَهَــا، فَقَدْ كَانَ النَّبِيَّانِ دَاوُدُ وَسُــلَيْمَانُ - عَلَيْهِمَا السَّــلَامُ - مِنْ أَزْهَدِ أَهْلِ زَمَانِهِمَــا، وَلَهُمَا مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْــكِ وَالزَّوْجَاتِ الْكَثِيرُ وَالْكَثِيــرُ، وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَزْهَدِ الْبَشَــرِ عَــلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَهُ الْعَدِيدُ مِــنَ الزَّوْجَاتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُــنَّ -، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ

أَبِي طَالِبٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- مِنَ الزُّهَّادِ مَعَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ. وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ «أَحْمَدُ»: أَيَكُونُ الْإِنْسَانُ ذَا مَالٍ وَهُوَ زَاهِدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْرَحُ بِزِيَادَتِهِ، وَلَا يَحْزَنُ بِنُقْصَانِهِ. فَلَيْسَ الزُّهْدُ بِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَكِنْ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ كَنْزِهِ وَإِمْسَاكِهِ، وَأَنْ يَكُونَ حَالُكَ فِي الْمُصِيبَةِ هُوَ نَفْسَ حَالِكَ إِذَا لَمْ تُصَبْ بِهَا سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ أَغْنَى النَّاسِ وَلَكِنَّهُ أَزْهَدُهُمْ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ غَيْرُ مُتَعَلِّقٍ بِالدُّنْيَا، وَقَدْ يَكُونُ عَبْدٌ آخَرُ أَفْقَرَ النَّاسِ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الزُّهْدِ أَيُّ نَصِيبٍ. وَلَقَدْ



مَدَحَ اللَّـهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَذَمَّ الرَّغْبَةَ فِيهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الْحَدِيد: 23]. وَقَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غَافِر: 39]. وَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَكْتَسِبُ الزُّهْدَ بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَالْبُعْدِ عَنِ النَّزَوَاتِ، وَقِصَرِ الْأَمَلِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ. وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»، كَمَا قَالَ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»، وَقَالَ كَذَلِكَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَعَابِرِ سَبِيلٍ».

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- حَسَبَ مَا فَهِمْتُهُ عَنْ قِيمَةِ الزُّهْدِ، يَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ هُمْ أَزْهَدَ النَّاسِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- بَلَى يَا بُنَيَّتِي.. الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ هُمْ قُدْوَةُ الْبَشَرِ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الْأَنْعَام: 90].

وَمَنْ يَطَّلِعْ عَلَى السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ يَعْرِفْ أَنَّ رَسُولَنَا الْكَرِيمَ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهِ يُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ (يُصَلِّحُ) نَعْلَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى وَفَاتِهِ ﷺ، وَكَانَ دَائِمًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ».

فَالْمُؤْمِنُ الزَّاهِدُ لَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّ الدُّنْيَا، وَلَا يَتَنَافَسُ عَلَى عِزِّهَا، وَعَيْنُهُ دَائِمًا عَلَى الْآخِرَةِ.

وَسَعِدَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» بِمَا اكْتَسَبَاهُ مِنْ مَعَارِفَ وَمَعْلُومَاتٍ عَنْ قِيمَةِ «الزُّهْدِ».



تَدَبُّرُ خَلْقِ الْكَوْنِ

شَـاهَدَتِ الْعَائِلَةُ بَرْنَامَجًا تِلِيفِزْيُونِيًّا يَتَنَاوَلُ هَذَا الْكَوْنَ الْعَظِيمَ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، وَظَوَاهِـرَهُ الْمُتَعَدِّدَةَ، فَتَمَّ عَرْضُ: تَتَابُعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَتَابُعِ فُصُولِ السَّـنَةِ الْأَرْبَعَةِ: الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ وَالشِّتَاءِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَعَلَاقَتِهِمَا بِالْأَرْضِ، وَالنُّجُـومِ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي الْعَـدَدِ وَالْبُعْدِ عَـنِ الْأَرْضِ، وَكَيْفَ أَنَّ الشَّـمْسَ وَكَوَاكِبَ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ تَبْدُو كَحَبَّةِ رَمْلٍ وَسَطَ صَحْرَاءَ مُمْتَدَّةٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا.

وَكَيْـفَ أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ يَتَّبِعُ فِي حَرَكَتِهِ وَاتِّسَـاعِهِ نِظَامًا فِي غَايَـةِ الدِّقَّةِ مَحْكُومًا بِقَوَانِينَ وَسُـنَنٍ كَوْنِيَّةٍ ثَابِتَـةٍ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، فَإِذَا كَانَتِ «السَّـاعَةُ» وَهِيَ آلَةٌ بَسِيطَةٌ نِسْبِيًّا نَحْسِبُ بِهَا الزَّمَنَ، يَسْتَلْزِمُ لِصُنْعِهَا مُصَمِّـمٌ وَمُفَكِّرٌ وَمُتَخَصِّصٌ يَمْتَـلِكُ مَهَارَاتٍ فَائِقَةً، فَإِنَّ هَذَا الْكَوْنَ الْأَكْثَرَ تَعْقِيدًا وَنِظَامًا وَالرَّائِعَ إِلَى أَبْعَدِ الْحُدُودِ، يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ مُصَمِّمٍ وَصَانِعٍ وَخَالِقٍ عَظِيمٍ وَمُبْدِعٍ، إِنَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَبَعْدَ مُشَاهَدَةِ الْبَرْنَامَجِ التِّلِيفِزْيُونِيِّ قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- إِنَّ مُشَاهَدَةَ هَذَا الْبَرْنَامَجِ الرَّائِعِ زَادَ مِنْ إِيمَانِي بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً:

- أَحْسَـنْتِ الْقَوْلَ يَا بُنَيَّتِي، فَإِنَّ تَدَبُّرَ خَلْقِ هَذَا الْكَـوْنِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ قِيمَةٌ دِينِيَّـةٌ جَلِيلَةٌ تَزِيدُ مِنْ إِيمَانِنَا بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَتُقَوِّي هَذَا الْإِيمَانَ. وَقَدْ حَثَّنَا الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ هَذَا الْكَوْنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْعَنْكَبُوت: 20]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آلَ عِمْرَانَ: 190].

وَأَكْمَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ عَنْ قِيمَةِ تَدَبُّرِ خَلْقِ الْكَوْنِ، فَقَالَ:

- عِنْدَمَا دَرَسَ الْعُلَمَاءُ وَضْعَ الْأَرْضِ بِالنِّسْـبَةِ لِلْكَـوْنِ أَدْرَكُوا أَنَّهَا مُصَمَّمَةٌ عَلَى



نَحْوٍ فَرِيدٍ لِمَعِيشَةِ الْبَشَرِ عَلَيْهَا، إِنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الشَّمْسِ الْبُعْدَ الصَّحِيحَ تَمَامًا لِلْحُصُولِ عَلَى الْمِقْدَارِ الْمُنَاسِبِ مِنَ الضَّوْءِ وَالْحَرَارَةِ، فَلَوِ اقْتَرَبَتِ الشَّمْسُ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ لَاحْتَرَقَتْ كُلُّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ: الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ، وَلَوِ ابْتَعَدَتِ الْأَرْضُ عَنِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ لَتَجَمَّدَتِ الْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ كُلُّهَا وَفَنِيَتْ. وَهَذِهِ النُّجُومُ الَّتِي نَرَاهَا فِي السَّمَاءِ لَيْلًا، وَالَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، ذَاتُ مَوَاقِعَ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ تَسْبَحُ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْوَاسِعِ، وَمَعَ حَرَكَتِهَا وَدَوَرَانِهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْطَدِمَ نَجْمٌ بِآخَرَ، وَلَا أَنْ يَقْتَرِبَ نَجْمٌ مِنْ مَجَالِ نَجْمٍ آخَرَ، لِذَا أَقْسَمَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِمَوَاقِعِ هَذِهِ النُّجُومِ لِأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ الْمَوَاقِعِ فِي حَرَكَةِ الْكَوْنِ وَنِظَامِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الْوَاقِعَة: 75، 76].

تَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

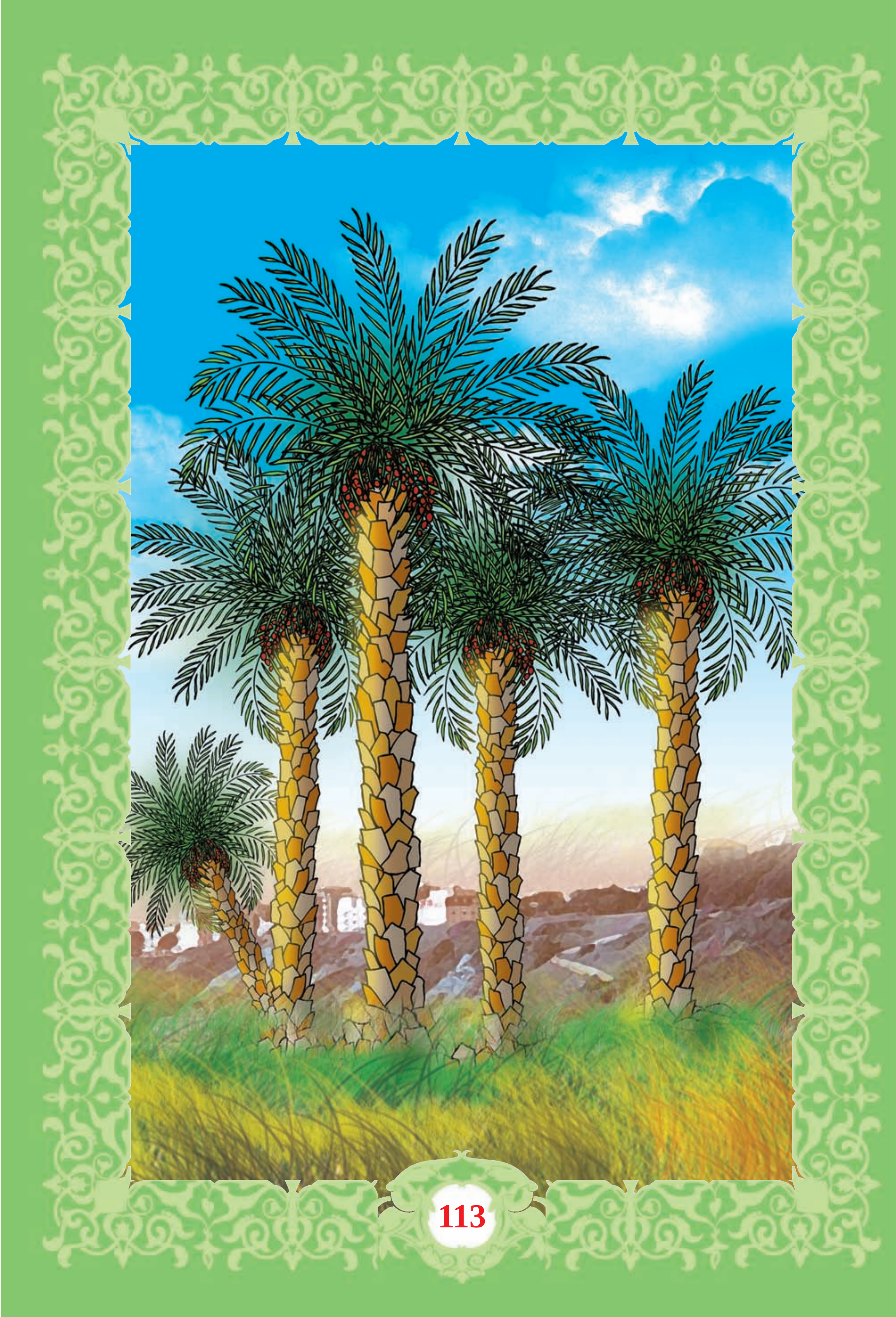
- مَاذَا عَنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْكَوْنِ؟ وَخَلْقِ مَا يُيَسِّرُ مَعِيشَتَهُ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- لَوْ تَأَمَّلْنَا خَلْقَ الْإِنْسَانِ يَا «عُمَرُ»، نَجِدُ أَنَّ خَلْقَهُ عَجِيبٌ، فَأَجْهِزَةُ جِسْمِ الْإِنْسَانِ فِي غَايَةِ الدِّقَّةِ، وَهَذِهِ الْأَجْهِزَةُ تَعْمَلُ مَعًا فِي تَنَاسُقٍ عَجِيبٍ تُنَاسِبُ حَرَكَةَ هَذَا الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ، وَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ مِنْ خَلْقِهِ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ؛ فَسَخَّرَ لَهُ: الْمَاءَ الْعَذْبَ، وَالْهَوَاءَ الْعَلِيلَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنَّبَاتَاتِ وَالثَّمَرَ، وَصُوَرَ الطَّاقَةِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إِبْرَاهِيم: 32، 33].

إِنَّ مَنْ يَتَدَبَّرُ خَلْقَ هَذَا الْكَوْنِ يَقْوَى إِيمَانُهُ بِأَنَّهُ مِنْ صُنْعِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَسَعِدَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» بِمَا عَرَفَاهُ عَنْ قِيمَةِ تَدَبُّرِ خَلْقِ الْكَوْنِ.



التَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ

فِي جِلْسَةِ سَمَرٍ مَسَائِيَّةٍ بَيْنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ، سَأَلَتِ الْجَدَّةُ حَفِيدَتَهَا قَائِلَةً:

- فِي أَيَّةِ مِهْنَةٍ تَوَدِّينَ أَنْ تَعْمَلِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ يَا «مَرْيَمُ» يَا حَبِيبَتِي؟

وَبَعْدَ فَتْرَةِ تَفْكِيرٍ سَرِيعَةٍ ابْتَسَمَتْ «مَرْيَمُ» وَقَالَتْ:

- أَوَدُّ أَنْ أَكُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ طَبِيبَةً، أَهْتَمُّ بِصِحَّةِ النَّاسِ، وَأُعَالِجُ الْمَرْضَى لِكَيْ يَتَحَقَّقَ لَهُمُ الشِّفَاءُ الَّذِي هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى يَدَيَّ.

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ وَقَالَتْ:

- أَحْسَنْتِ يَا بُنَيَّتِي.. وَكَيْفَ سَتُحَقِّقِينَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةَ؟

قَالَتِ الْحَفِيدَةُ:

- سَأَجْتَهِدُ فِي دِرَاسَتِي بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، وَدِرَاسَةِ الْعُلُومِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ حَتَّى أَحْصُلَ عَلَى شَهَادَةِ إِتْمَامِ الدِّرَاسَةِ الثَّانَوِيَّةِ بِتَقْدِيرٍ عَالٍ يُؤَهِّلُنِي لِلالْتِحَاقِ بِكُلِّيَّةِ الطِّبِّ بِإِذْنِ اللَّهِ.

ضَحِكَ الْجَدُّ وَقَالَ:

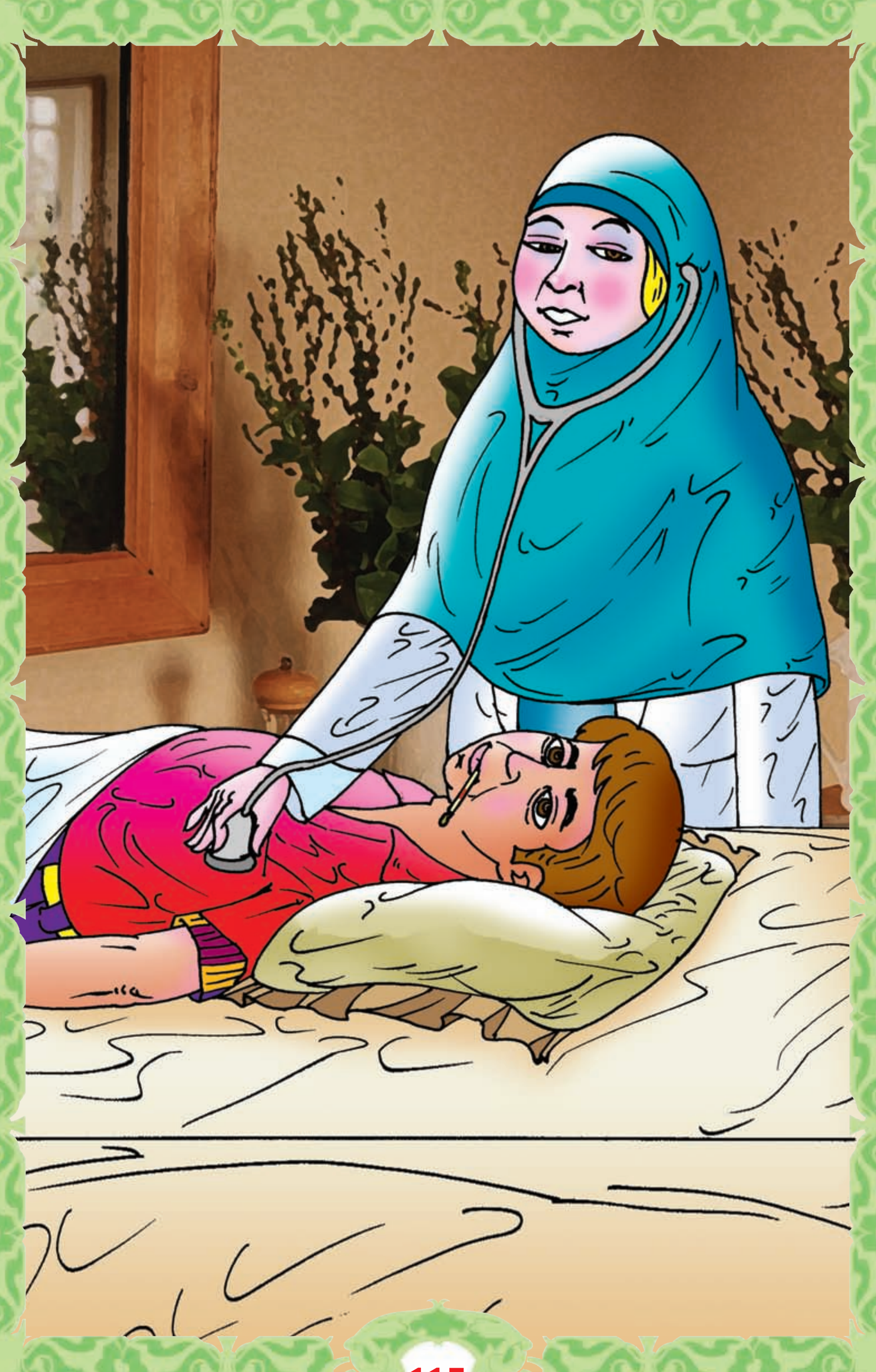
- أَدْعُو اللَّهَ يَا حَفِيدَتِي الْعَزِيزَةَ أَنْ يُحَقِّقَ لَكِ مُرَادَكِ، وَأَنْ تَقُومِي بِالتَّخْطِيطِ لِمُسْتَقْبَلِكِ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ.

تَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- وَمَا مَعْنَى التَّخْطِيطِ لِلْمُسْتَقْبَلِ يَا جَدِّيَ الْعَزِيزَ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- التَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ يَا وَلَدِي قِيمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَأَيُّ عَمَلٍ يُرْجَى لَهُ النَّجَاحُ وَتَحْقِيقُ الْأَهْدَافِ الْمَنْشُودَةِ مِنْهُ يَجِبُ أَنْ يُخَطَّطَ لَهُ جَيِّدًا. فَالْعَمَلُ الَّذِي يَقُومُ بِدُونِ خُطَّةٍ هُوَ عَمَلٌ عَشْوَائِيٌّ لَا يُرْجَى مِنْهُ نَجَاحٌ، فَهُوَ ضَيَاعٌ لِلْوَقْتِ وَالْجُهْدِ وَالْمَالِ.



انْظُرْ إِلَى جَيْشٍ يَسْتَعِدُّ لِحَرْبِ الْعَدُوِّ، كَيْفَ يُعِدُّ قُوَّاتِهِ وَأَسْلِحَتَهُ؟ وَكَيْفَ يَخْتَارُ أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ؟ وَمِيعَادَهَا؟ وَمَا هِيَ الْبَدَائِلُ الَّتِي سَيَسْتَخْدِمُهَا إِذَا غَيَّرَ الْعَدُوُّ أُسْلُوبَهُ الْحَرْبِيَّ؟

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ حَدِيثَهَا عَنِ التَّخْطِيطِ لِلْمُسْتَقْبَلِ، فَقَالَتْ:

وَانْظُرْ أَيْضًا إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَهِيَ تُخَطِّطُ لِبَدْءِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ الْجَدِيدِ، مِنْ حَيْثُ إِعْدَادُ الْفُصُولِ، وَتَوْفِيرُ الْكُتُبِ وَالْأَدَوَاتِ الْمَدْرَسِيَّةِ، وَسَدُّ الْعَجْزِ فِي أَعْدَادِ الْمُعَلِّمِينَ فِي التَّخَصُّصَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَإِعْدَادِ الْجَدْوَلِ الْمَدْرَسِيِّ، وَإِعْدَادِ خُطَّةِ النَّشَاطِ الصَّيْفِيِّ، وَكَيْفَ سَيَتِمُّ اسْتِقْبَالُ التَّلَامِيذِ الْجُدُدِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّرْتِيبَاتِ الَّتِي تَجْعَلُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ تُحَقِّقُ كُلَّ الْأَهْدَافِ الْمَرْجُوَّةِ مِنْهَا.

وَوَاصَلَ الْجَدُّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- عَلَّمَنَا اللَّهُ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ التَّخْطِيطِ لِلْمُسْتَقْبَلِ، فَكَانَ خَلْقُ الدُّنْيَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَجِدَ الْحَيَاةَ مُلَائِمَةً لِمَعِيشَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ..﴾

[الْفُرْقَان: 59].

وَفِي حَدَثِ الْهِجْرَةِ الْعَظِيمَةِ خَطَّطَ النَّبِيُّ ﷺ لِنَجَاحِهَا، وَوَضَعَ التَّرْتِيبَاتِ اللَّازِمَةَ لَهَا: مَتَى يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ؟ وَمَنِ الَّذِي سَيَخْرُجُ مَعَهُ؟ وَكَيْفِيَّةَ تَوْفِيرِ الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ الْقَوِيَّةِ؟ وَمَنْ سَيَأْتِي بِأَخْبَارِ قُرَيْشٍ؟ وَمَنْ سَيَكُونُ الدَّلِيلَ الَّذِي سَيَكُونُ مَعَهُمَا لِيُرْشِدَهُمَا إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؟ وَنَجَحَ هَذَا التَّخْطِيطُ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ، فَكَانَتْ أَعْظَمُ النَّجَاحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

قَالَتْ «مَرْيَمُ»:

- وَهَلِ التَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ يَشْمَلُ التَّخْطِيطَ لِلدُّنْيَا فَقَطْ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- لَا يَا بُنَيَّتِي، بَلِ التَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ يَشْمَلُ أَيْضًا الِاسْتِعْدَادَ لِلْآخِرَةِ، كَمَا

جَاءَ فِي حَدِيثِ السَّــلَفِ الصَّالِحِ: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّــكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا».

إِنَّ الْعَصْرَ الَّذِي نَعِيشُــهُ هُوَ عَصْرُ التَّنْظِيمِ وَالتَّخْطِيــطِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُخَطِّطَ لِشُؤُونِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا حَتَّى نَسْعَدَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنَسْعَدَ كَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.



التَّرْوِيحُ عَنِ النفْسِ

فِي إِجَازَةِ نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ ذَهَبَتِ الْعَائِلَةُ إِلَى حَدِيقَةِ الْأَسْمَاكِ، وَهُنَاكَ شَاهَدُوا الْعَدِيدَ وَالْعَدِيدَ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ، الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ، الْمُلَوَّنَةِ وَغَيْرِ الْمُلَوَّنَةِ، كَمَا شَاهَدُوا بَعْضَ الْهَيَاكِلِ الْعَظْمِيَّةِ الضَّخْمَةِ لِلْحُوتِ، وَلِسَمَكِ الْقِرْشِ.

كَمَا تَمَتَّعَتِ الْعَائِلَةُ بِرُؤْيَةِ هَذِهِ الْمِسَاحَاتِ الْخَضْرَاءِ بِالْحَدِيقَةِ، وَالَّتِي تَتَضَمَّنُ أَشْجَارًا مُتَنَوِّعَةً، وَأَزْهَارًا مُلَوَّنَةً، وَعُشْبًا أَخْضَرَ جَمِيلًا.

قَالَتْ «مَرْيَمُ» وَابْتِسَامَةٌ حُلْوَةٌ عَلَى ثَغْرِهَا:

- اللَّهُ.. مَا أَجْمَلَ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي قَضَيْنَاهُ فِي حَدِيقَةِ الْأَسْمَاكِ! لَقَدِ ارْتَاحَتْ لَهُ نَفْسِي، وَنَسِيتُ عَنَاءَ الدِّرَاسَةِ وَالْمُذَاكَرَةِ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي.

قَالَتِ الْجَدَّةُ:

- هَذَا هُوَ التَّرْوِيحُ عَنِ النَّفْسِ يَا بُنَيَّتِي.

تَسَاءَلَ «عُمَرُ»:

- وَمَا مَعْنَى التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ يَا جَدَّتِي؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

- التَّرْوِيحُ عَنِ النَّفْسِ يَا وَلَدِي قِيمَةٌ مُهِمَّةٌ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ يَعْنِي أَوْجُهَ النَّشَاطِ الْمُفِيدَةَ الَّتِي يُمَارِسُهَا هَذَا الْإِنْسَانُ فِي أَوْقَاتِ فَرَاغِهِ وَالَّتِي تُؤَدِّي إِلَى التَّسْرِيَةِ عَنِ النَّفْسِ، وَالِاسْتِرْخَاءِ بَعِيدًا عَنْ أَيَّةِ ضُغُوطٍ بَدَنِيَّةٍ أَوْ نَفْسِيَّةٍ، وَتَحْقِيقِ التَّوَازُنِ الْبَدَنِيِّ وَالنَّفْسِيِّ، وَبِالتَّالِي الرِّضَا عَنِ الذَّاتِ.

وَهَذَا التَّرْوِيحُ عَنِ النَّفْسِ أَبَاحَهُ لَنَا دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ، وَكَانَتْ مِنْ تَعْلِيمَاتِ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ ﷺ أَنْ نُرَوِّحَ عَنِ الْقُلُوبِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا كَلَّتْ مَلَّتْ. وَمِنَ الْأَقْوَالِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَأْثُورَةِ: «عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ السِّبَاحَةَ وَالرِّمَايَةَ وَرُكُوبَ الْخَيْلِ».



قَالَتْ «مَرْيَمُ» مُتَسَائِلَةً:

- وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا التَّرْوِيحُ عَنِ النَّفْسِ؟ وَمَا أَهَمِّيَّتُهُ لِلْإِنْسَانِ؟

رَدَّ الْجَدُّ قَائِلًا:

- إِنَّ أَوْجُهَ التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ كَثِيرَةٌ وَمُتَعَدِّدَةٌ، فَنَجِدُهَا فِي مُمَارَسَةِ الْأَنْشِطَةِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَفِي قِرَاءَةِ الْقِصَصِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَفِي الذَّهَابِ إِلَى النَّوَادِي وَالْحَدَائِقِ وَالْمُتَنَزَّهَاتِ، وَفِي الزِّيَارَاتِ الْعَائِلِيَّةِ، وَزِيَارَةِ الْمَتَاحِفِ وَالْآثَارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، أَمَّا عَنْ أَهَمِّيَّةِ التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ فَيُمْكِنُ تَحْدِيدُهَا فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

★ تَحْقِيقُ التَّوَازُنِ بَيْنَ جَوَانِبِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ: الدِّينِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ.

★ يُسْهِمُ النَّشَاطُ التَّرْوِيحِيُّ فِي اكْتِسَابِ الْفَرْدِ لِمَعْلُومَاتٍ وَخِبْرَاتٍ وَمَهَارَاتٍ.

★ كَمَا يُسْهِمُ فِي تَعَرُّفِ الْفَرْدِ عَلَى مَوَاهِبِهِ، وَيُنَمِّي لَدَيْهِ قُدُرَاتِ الْإِبْدَاعِ.

★ يُسَاعِدُ الْفَرْدَ عَلَى الْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ مُفِيدَةٍ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي الْوُقُوعِ فِي أُمُورٍ خَاطِئَةٍ، كَمَا يُبْعِدُهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي بَعْضِ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ.

★ يُسَاعِدُ الْفَرْدَ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ التِّكْنُولُوجْيَا الْحَدِيثَةِ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ.

- عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ (أَيْ كَبِرَتْ فِي السِّنِّ وَزَادَ وَزْنُهَا) سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ» (أَيْ كَمَا فُزْتِ فِي السِّبَاقِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، أَنَا كَذَلِكَ فُزْتُ هَذِهِ الْمَرَّةَ).

وَتَسَاءَلَ «عُمَرُ» قَائِلًا:

- وَهَلْ لِأَنْشِطَةِ التَّرْوِيحِ عَلَى النَّفْسِ شُرُوطٌ فِي الْإِسْلَامِ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

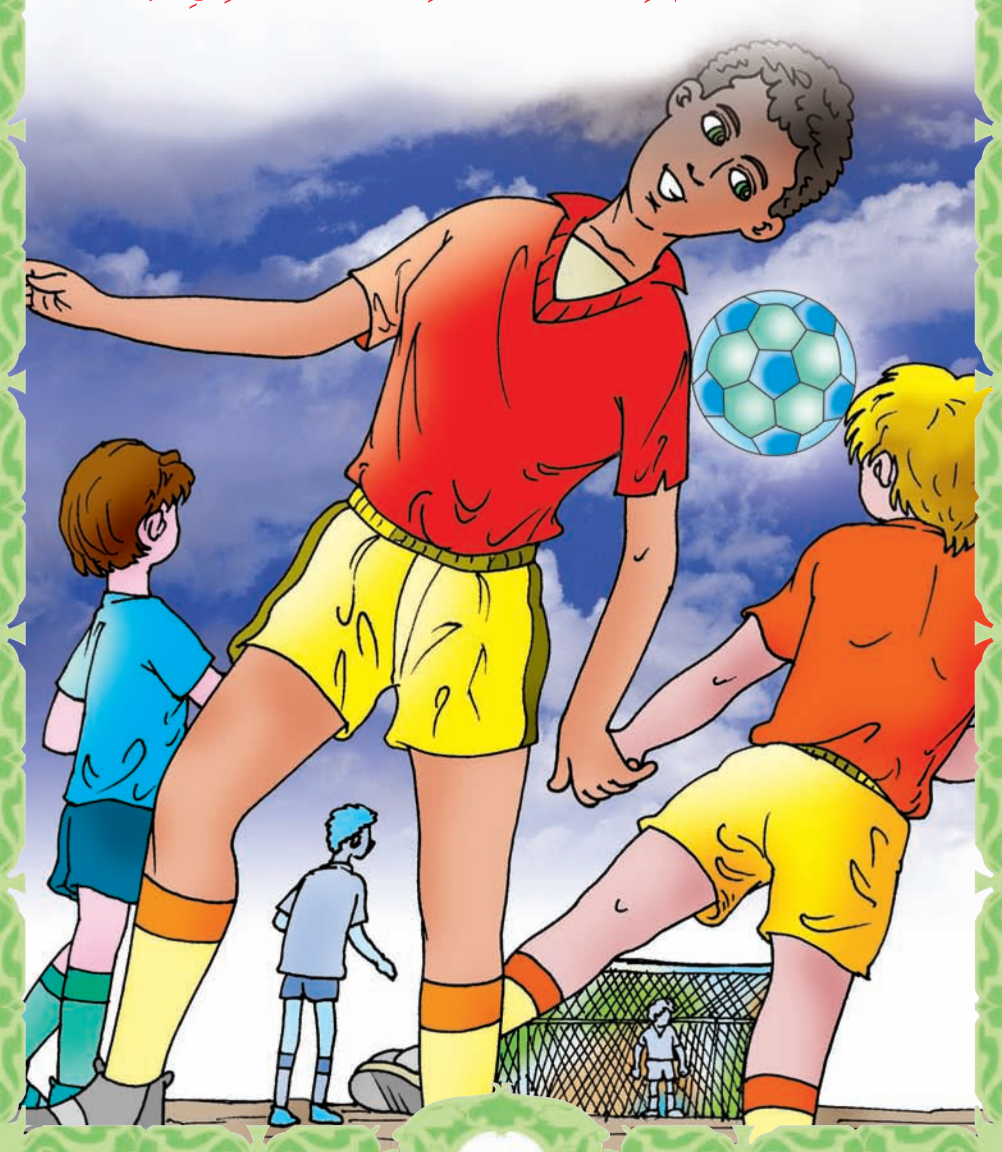
- نَعَمْ يَا وَلَدِي، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ:

★ أَلَّا تَكُونَ فِي أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ مِثْلَ «لَعِبِ الْمَيْسِرِ مِثْلًا» أَوْ مَا إِلَى ذَلِكَ.

★ تَحَقُّقُ التَّوَازُنِ فِي جَوَانِبِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْمُخْتَلِفَةِ.

★ أَنْ تَنْبُعَ مِنْ دَافِعِيَّةٍ ذَاتِيَّةٍ لِلْفَرْدِ، وَلَا يَكُونَ مُجْبَرًا عَلَيْهَا.
★ أَلَّا تَسْتَغْرِقَ وَقْتَ الْعَمَلِ الْأَصْلِيِّ.
★ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِرَاحَةِ النَّفْسِ، وَلَيْسَتْ غَايَةً فِي حَدِّ ذَاتِهَا.
★ أَلَّا يُسَبِّبَ هَذَا التَّرْوِيحُ أَيَّ ضَرَرٍ لِلْإِنْسَانِ، أَوِ الْحَيَوَانِ، أَوِ النَّبَاتِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

وَسَعِدَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» بِمَا اكْتَسَبَاهُ مِنْ مَعَارِفَ عَنْ قِيمَةِ «التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ».



إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيـقِ

أَقَامَتْ مَدْرَسَةُ «مَرْيَمَ» احْتِفَالًا تَحْتَ شِعَارِ «نَحْوَ بِيئَةٍ أَفْضَلَ»، اشْتَرَكَتْ فِيهِ مُعْظَمُ تِلْمِيذَاتِ الْمَدْرَسَـــةِ فِي نَظَافَةِ وَتَجْمِيلِ الْبِيئَةِ دَاخِلَ الْمَدْرَسَـــةِ، وَالشَّوَارِعِ وَالطُّرُقَـــاتِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَـــا. وَحَكَتْ «مَرْيَـــمُ» لِلْعَائِلَةِ كَيْفَ أَنَّهَا أَسْـــهَمَتْ مَعَ زَمِيلَاتِهَا فِي إِزَالَةِ الْأَحْجَارِ، وَبَعْضِ الْأَشْجَارِ مِنْ هَذِهِ الشَّوَارِعِ وَتِلْكَ الطُّرُقَاتِ.

قَالَ الْجَدُّ مُبْتَسِمًا:

- هَـــذِهِ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ مُهِمَّةٌ أَكَّدَ عَلَيْهَا إِسْـــلَامُنَا الْعَظِيـــمُ، أَلَا وَهِيَ قِيمَةُ «إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» قَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِـــتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ شُعْبَةً أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

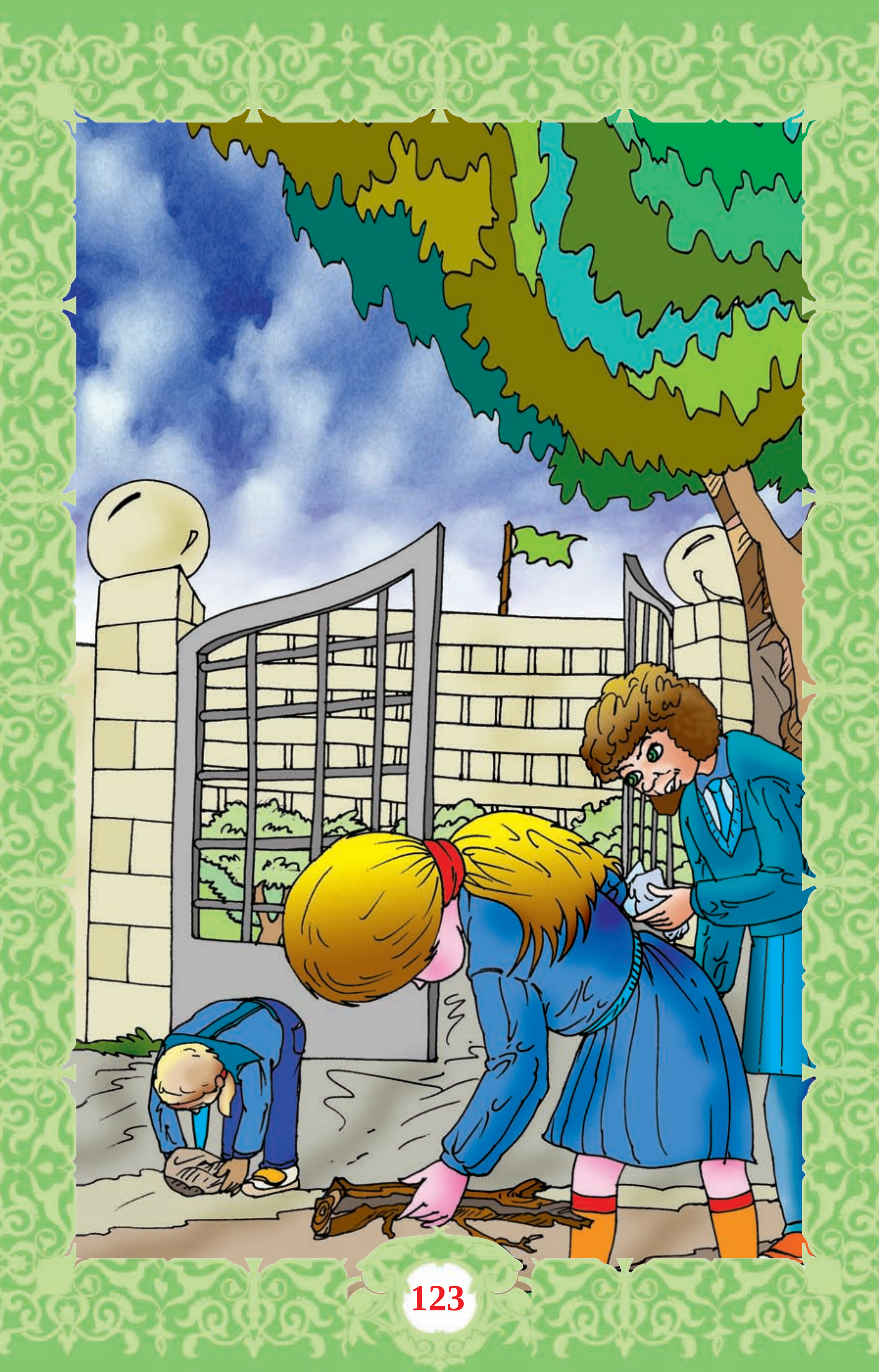
فَمِنْ وَاجِبِ الْمُسْـــلِمِ الْحَـــقِّ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِزَالَةِ كُلِّ مَا هُـــوَ ضَارٌّ فِي الطَّرِيقِ، كَالزُّجَاجِ الْمُتَكَسِّـــرِ الَّذِي إِذَا دَاسَهُ أَحَدٌ جَرَحَهُ وَأَصَابَهُ، أَوْ رَدْمِ حُفْرَةٍ قَدْ يَقَعُ فِيهَا النَّاسُ، أَوْ رَفْعِ قِشْرَةِ مَوْزٍ يُمْكِنُ أَنْ تَتَسَبَّبَ فِي سُقُوطِ شَخْصٍ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا دَاسَهَا بِقَدَمِهِ بِدُونِ أَنْ يَنْتَبِهَ إِلَيْهَا.

وَلِـــذَا فَقَدِ اعْتَبَرَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ إِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُثَابُ الْمُسْـــلِمُ عَلَى فِعْلِهَا، فَقَـــالَ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّـــبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ».

وَأَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ حَدِيثَهَا عَنْ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فَقَالَتْ:

- يُحْكَى أَنَّـــهُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ فِي أَحَـــدِ الْبِلَادِ لَاحَظَ حَاكِمُهَا كَثْـــرَةَ الْأَحْجَارِ فِي الطُّرُقَاتِ وَكَثْرَةَ بَقَايَا الْأَشْـــجَارِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُعَرْقِلُ حَرَكَةَ النَّاسِ وَدَوَابِّهِمْ فِي تِلْكَ الطُّرُقَـــاتِ، كَمَا لَاحَظَ حَاكِمُ الْبَلْـــدَةِ عَدَمَ اهْتِمَامِ النَّـــاسِ بِإِزَالَةِ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَتِلْكَ الْبَقَايَا مِنَ الطُّرُقِ رَغْمَ مُعَانَاتِهِمْ مِنْهَا.

فَأَصْدَرَ الْحَاكِمُ مَرْسُومًا لِأَبْنَاءِ بَلْدَتِهِ قَالَ فِيهِ:



- سَـــتَكُونُ هُنَاكَ جَائِزَةٌ مَالِيَّةٌ فِي كُلِّ شَــهْرٍ لِمَنْ يُزِيلُ أَكْبَرَ عَــدَدٍ مِنَ الْأَحْجَارِ وَبَقَايَا الشَّجَرِ، وَسَيَنَالُ الْجَائِزَةَ صَاحِبُ أَكْبَرِ مَجْهُودٍ فِي هَذَا الْعَمَلِ.

وَبِالْفِعْلِ أَسْرَعَ النَّاسُ لِإِزَالَةِ الْأَحْجَارِ وَبَقَايَا الشَّجَرِ وَكُلِّ مَا يَعُوقُ سَيْرَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ، وَأَصْبَحَتْ طُرُقُ الْبَلْدَةِ نَظِيفَةً تَمَامًا، وَفِي كُلِّ شَهْرٍ يَتِمُّ اخْتِيَارُ الرَّابِحِ وَيُمْنَحُ جَائِزَةَ الْحَاكِمِ. وَبَعْدَ عِدَّةِ أَشْــهُرٍ تَعَوَّدَ أَهْــلُ الْبَلْدَةِ عَلَى نَظَافَةِ طُرُقِ بَلْدَتِهِمْ بِفَضْلِ الْفِكْرَةِ الذَّكِيَّةِ لِحَاكِمِهِمْ.

قَالَ «عُمَرُ»:

- إِنَّهَا حَقًّا فِكْرَةٌ ذَكِيَّةٌ لِحَاكِمِ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي أَعَادَ لِطُرُقَاتِهَا نَظَافَتَهَا وَرَوْنَقَهَا، وَلَكِنْ مَــاذَا عَمَّنْ يَتَعَمَّدُ مِنْ أَبْنَــاءِ بَلَدِنَا الْحَبِيبِ إِلْقَاءَ الْقَــاذُورَاتِ، وَأَكْيَاسِ الْقُمَامَــةِ فِي الطَّرِيقِ الْعَــامِّ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُلْقُونَ مِنَ السَّــيَّارَاتِ بِعُلَبِ الْمِيَاهِ الْغَازِيَّةِ الْفَارِغَــةِ، وَبِأَكْيَاسِ بَقَايَا الْأَطْعِمَةِ، وَالْمَنَادِيلِ الْوَرَقِيَّةِ الْمُسْــتَعْمَلَةِ، مِمَّا يُشَوِّهُ الشَّوَارِعَ وَالطُّرُقَاتِ؟

أَجَابَ الْجَدُّ:

- إِنَّهَا ظَاهِرَةٌ فَاسِــدَةٌ يَا بُنَيَّ وَغَيْــرُ صِحِّيَّةٍ، وَأَيْضًا غَيْرُ حَضَارِيَّةٍ، فَالْمُسْــلِمُ الْحَــقُّ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ عِنْدَمَــا يَجِدُ فِي الطُّرُقَاتِ مِثْلَ هَذِهِ النُّفَايَــاتِ، فَإِنَّهُ يَعْمَلُ عَلَى وَضْعِهَا فِي الْأَمَاكِــنِ الْمُخَصَّصَةِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ قَدْ حَافَظَ عَلَى نَظَافَةِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَعِيــشُ فِيهَا، وَيُحَافِظُ عَلَى جَمَالِ الطَّبِيعَةِ بِمَدِينَتِهِ.

سَأَلَتْ «مَرْيَمُ» قَائِلَةً:

- وَمَا أَهَــمُّ النَّتَائِجِ الْمُتَرَتِّبَــةِ عَلَى عَمَلِ الْمُسْــلِمِينَ بِمَبْدَإِ إِمَاطَــةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ؟

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ:

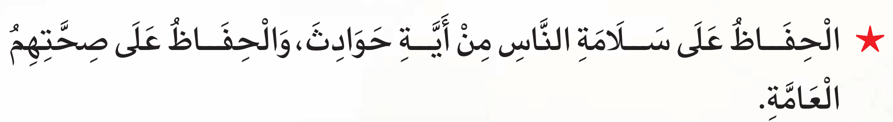
- أَهَمُّ هَذِهِ النَّتَائِجِ يَا بُنَيَّتِي هِيَ كَمَا يَلِي:

★ الْفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَرِضَا رَسُولِهِ ﷺ.

★ الْحِفَـاظُ عَلَى سَـلَامَةِ النَّاسِ مِنْ أَيَّـةِ حَوَادِثَ، وَالْحِفَـاظُ عَلَى صِحَّتِهِمُ الْعَامَّةِ.

★ التَّمَتُّعُ بِالْمَنْظَرِ الْحَضَارِيِّ لِلطُّرُقَاتِ وَالشَّوَارِعِ النَّظِيفَةِ.

★ نَشْرُ الْوَعْيِ الْبِيئِيِّ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ.



وَسَعِدَ «عُمَرُ» وَ«مَرْيَمُ» بِمَا اكْتَسَبَاهُ مِنْ مَعَارِفَ عَنْ قِيمَةِ «إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وَصَمَّمَا عَلَى التَّحَلِّي بِهَا.

أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ

س1: مَا مَعْنَى الصِّدْقِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الصِّدْقُ مَنْجَاةً؟

س2: اذْكُرْ أَنْوَاعَ الصِّدْقِ. وَمَا جَزَاءُ الصَّادِقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟

س3: مَا مَعْنَى الصَّبْرِ؟ وَمَنِ الَّذِينَ يَتَّصِفُونَ بِالصَّبْرِ؟ وَلِمَاذَا؟

س4: كَيْفَ صَبَرَ سَيِّدُنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وَمَاذَا كَانَ جَزَاؤُهُ؟

س5: لِمَنْ تَكُونُ الطَّاعَةُ؟ وَمَتَى تَكُونُ مُقَيَّدَةً؟ وَمَتَى تَكُونُ مُطْلَقَةً؟

س6: مَاذَا تَعَلَّمْتَ مِنْ قِصَّةِ الرَّاعِي وَالنَّصِيحَةِ؟

س7: مَا أَهَمُّ إِنْجَازَاتِ الْعَالِمِ الْفَرَنْسِيِّ الْمَعْرُوفِ «لويس باستير»؟

س8: مَا مَعْنَى الْمُثَابَرَةِ؟ وَمَا أَهَمُّ أَنْوَاعِهَا أَوْ مَجَالَاتِهَا؟

س9: مَا حَقُّ الْجَارِ عَلَى جَارِهِ الْمُسْلِمِ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى مَا تَقُولُ؟

س10: «دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ دِينُ تَرَابُطٍ وَتَآلُفٍ، وَيَدْعُو إِلَى الْمَحَبَّةِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ» وَضِّحْ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا قَرَأْتَ.

س11: مَا جَزَاءُ مَنْ يَبَرُّ وَالِدَيْهِ؟ وَمَا عَاقِبَةُ مَنْ يَعُقُّ وَالِدَيْهِ؟

س12: مَا مَنْزِلَةُ الْوَالِدَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س13: اذْكُرْ مَعْنَى الْأَمَانَةِ. وَمَا جَزَاءُ الْأَمِينِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟

س14: هَلْ لِلْأَمَانَةِ أَنْوَاعٌ؟ وَمَا أَهَمُّهَا؟

س15: كَيْفَ يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ الظَّنَّ بِالْآخَرِينَ؟

س16: مَا الْعَوَامِلُ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى إِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْآخَرِينَ؟

س17: أَيَّةُ أَجْهِزَةٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ، أَوْ سَيَّارَاتٍ صُنِعَتْ فِي الْيَابَانِ تَكُونُ دَائِمًا عَالِيَةَ الْجَوْدَةِ، فَمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟

س18: هُنَاكَ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ لِإِتْقَانِ الْإِنْسَانِ لِعَمَلِهِ. وَضِّحْ ذَلِكَ.

س19: لِلْوَقْتِ أَهَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي دِينِنَا الْإِسْلَامِيِّ. بَيِّنْ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؟

س20: مَا أَهَمُّ السُّلُوكِيَّاتِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى تَوْفِيرِ الْوَقْتِ وَحُسْنِ اسْتِغْلَالِهِ؟
س21: مَا مَعْنَى الْعَمَلِ؟ وَلِمَاذَا يَأْمُرُنَا الْإِسْلَامُ بِالْعَمَلِ؟
س22: مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟
س23: مَا مَعْنَى التَّكَافُلِ؟ وَكَيْفَ دَعَا الْإِسْلَامُ إِلَى التَّكَافُلِ؟
س24: مَنِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَتَكَافَلَ مَعَهُ؟ وَلِمَاذَا؟
س25: لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَبْشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَيْرِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ. بَيِّنْ بَعْضًا مِنْهَا.
س26: مَاذَا عَنِ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ وَمَاذَا عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ؟
س27: وَضِّحْ أَثَرَ انْتِشَارِ قِيمَةِ السَّلَامِ فِي الْمُجْتَمَعِ.
س28: مَا جَزَاءُ مَنْ يُفْشِي السَّلَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟
س29: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَةَ الْعَبْدِ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا؟
س30: لِلتَّوْبَةِ شُرُوطٌ.. مَا هِيَ؟ وَمَتَى تَكُونُ التَّوْبَةُ صَادِقَةً؟
س31: مَا مَعْنَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ؟ وَمَا أَهَمُّ شُرُوطِهِ؟
س32: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَكُّلِ وَالتَّوَاكُلِ؟
س33: هَلْ نَدْعُو اللَّهَ لِيُحَقِّقَ مَا نُرِيدُهُ فِي الدُّنْيَا؟ أَمْ نَدْعُوهُ لِيُحَقِّقَ مَا نُرِيدُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ؟
س34: مَا هِيَ آدَابُ الدُّعَاءِ لِلَّهِ؟ وَمَا أَفْضَلُ أَوْقَاتِ الدُّعَاءِ وَأَهَمُّهَا؟
س35: بِمَاذَا نُسَمِّي الْإِصْرَارَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا «بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ» عَلَى الْإِسْلَامِ رَغْمَ تَعْذِيبِهِ تَعْذِيبًا شَدِيدًا مُؤْلِمًا؟
س36: مَا أَهَمُّ الْعَوَامِلِ الَّتِي تُسَاعِدُ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الْحَقِّ؟
س37: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.. مَا هُنَّ؟
س38: مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ الَّذِي لَا يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ وَيَكْرَهُ الْخَيْرَ لَهُمْ؟
س39: مَا مَعْنَى الصَّرَاحَةِ؟ وَمَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَقْتَرِنَ بِهِ؟ وَلِمَاذَا؟
س40: بَعْضُ النَّاسِ يَضِيقُ صَدْرُهُمْ بِالصَّرَاحَةِ.. فَكَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَهُمْ؟

س41: هَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَعْنَى الْحُبِّ وَمَعْنَى الْوُدِّ؟ مَثِّلْ لِمَا تَقُولُ.

س42: اذْكُرْ بَعْضَ مَظَاهِرِ «الْوَدُودِ» مَعَ عِبَادِهِ. وَمَاذَا نَتَعَلَّمُ مِنِ اسْمِ اللَّهِ «الْوَدُودِ»؟

س43: رِعَايَةُ الطِّفْلِ الْيَتِيمِ - عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ - تُعَدُّ مِنْ أَفْضَلِ سُبُلِ الْخَيْرِ، وَبَابٌ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَضِّحْ ذَلِكَ.

س44: مَا أَهَمُّ الْأَسَالِيبِ وَالْوَسَائِلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ الْآخَرِينَ؟

س45: مَا مَعْنَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ؟ وَمَا أَهَمِّيَّتُهَا فِي حَيَاةِ كُلِّ مُسْلِمٍ؟

س46: اذْكُرْ أَسْبَابَ ضَعْفِ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ لَدَى بَعْضِ النَّاسِ. وَكَيْفَ يُمْكِنُ عِلَاجُهَا؟

س47: مَا مَعْنَى السِّتْرِ؟ وَمَا فَوَائِدُهُ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ؟

س48: هَلْ يَعْنِي السِّتْرُ أَلَّا نُبَلِّغَ عَنْ قَاتِلٍ قَتَلَ، أَوْ لِصٍّ سَرَقَ، أَوْ شَارِبِ خَمْرٍ؟

س49: إِذَا أَرَادَ اللَّـهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا بَارَكَ لَـهُ فِي رِزْقِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْخَيْرَ فِيمَا أَعْطَاهُ مِنْ نِعَمٍ، كَيْفَ ذَلِكَ؟

س50: مَا هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَسْتَحِقُّ الْبَرَكَةَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

س51: مَا مَعْنَى الزُّهْدِ؟ وَكَيْفَ دَعَتْ إِلَيْهِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ؟

س52: أَيَعْنِي الزُّهْدُ أَلَّا نَسْعَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَلَّا نَهْتَمَّ بِمَا نَمْلِكُهُ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ؟

س53: تَحَدَّثْ عَنْ قِيمَةِ تَدَبُّرِ خَلْقِ الْكَوْنِ. وَمَاذَا يَسْتَفِيدُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا التَّدَبُّرِ؟

س54: مَا الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْكَوْنِ؟

س55: مَا مَعْنَى التَّخْطِيطِ لِلْمُسْتَقْبَلِ؟ وَمَا أَثَرُهُ فِي حَيَاةِ أَيِّ إِنْسَانٍ؟

س56: هَلِ التَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ يَشْمَلُ التَّخْطِيطَ لِلدُّنْيَا فَقَطْ؟ وَلِمَاذَا؟

س57: مَا مَعْنَى التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ؟ وَهَلْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ؟ وَكَيْفَ؟

س58: هَلْ لِأَنْشِطَةِ التَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ شُرُوطٌ فِي الْإِسْلَامِ؟ وَمَا هِيَ؟

س59: مِنْ وَاجِبِ الْمُسْـلِمِ الْحَقِّ أَنْ يَعْمَلَ عَـلَى إِزَالَةِ كُلِّ مَا هُوَ ضَارٌّ فِي الطَّرِيقِ. اشْرَحْ ذَلِكَ.

س60: مَا أَهَمُّ النَّتَائِجِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ بِمَبْدَإِ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ؟